دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

القديس أنطونيوس

ناسكٌ إنجيلي

الأب متى المسكين

هذا الكتاب ...

+ لا يتحدث عن سيرة قديس البراري العظيم...

+ ولكنه يمسك بالأصول المقدسة التي سار عليها أبونا الكبير، أب النساك في الكنيسة وفي كل العالم المسيحي...

+ و يبين من خلال وقائع حياته، وكتاباته، ومبادئه النسكية؛ أن الحياة التي اقتبلها القديس أنطونيوس حياة حسب الإنجيل تماماً، آزرها الروح القدس بقوة فائقة...

+ هذا الكتاب يزيح عن الرهبنة ما ادّعاه عليها البعض ويضع النسك المسيحي في مكانه الرسولي الأول كحياة إنجيلية تماماً.

ة ١٩٨٨

قرشاً

هذا الكتاب ...

+ لا يتحدث عن سيرة قديس البراري العظيم...

+ ولكنه يمسك بالأصول المقدسة التي سار عليها أبونا الكبير، أب النساك في الكنيسة وفي كل العالم المسيحي...

+ و يبين من خلال وقائع حياته، وكتاباته، ومبادئه النسكية؛ أن الحياة التي اقتبلها القديس أنطونيوس حياة حسب الإنجيل تماماً، آزرها الروح القدس بقوة فائقة...

+ هذا الكتاب يزيح عن الرهبنة ما ادّعاه عليها البعض و يضع النسك المسيحي في مكانه الرسولي الأول كحياة إنجيلية تماماً.

الطبعة الخامسة ١٩٩٦

الثمن جنيهاً واحداً

(٥٠)

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

القديس أنطونيوس

ناسكٌ إنجيلي

تُرجم إلى الفرنسية

الأب متى المسكين

كتاب : **القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي.**
المؤلف : **الأب متى المسكين.**
الطبعة الأولى : ١٩٧٢
الطبعة الثانية : ١٩٧٦
الطبعة الثالثة : ١٩٨٥
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٤/٢٦٦٢ .
الترقيم الدولي : ٤ ــ ٠٠٧ ــ ٤٤٨ ــ ٩٧٧

محتو يات الكتاب

●●●

القديس أنطونيوس
ناسك إنجيلي

□

□ «إعلموا يا أولادي أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة، بل نور حقيقي وسرور أبدي لكل من أكمل طاعتها.»

القديس أنطونيوس ــ رسالة ١٤

□ «حقاً إن حياة أنطونيوس نموذج صالح للحياة النسكية.»

القديس أثناسيوس ــ حياة أنطونيوس

□ «إن سيرة حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس، هي في الحقيقة قانون للحياة الرهبانية في صورة قصة.»

القديس غريغوريوس النزينزي

\+ \+ \+

لقد استطاع القديس أنطونيوس أن يستمد من الإنجيل حياة نسكية منيرة، فلنسأل الله القدير أن يمدّنا ببصيرة روحانية ونعمة حتى نمسك بالأصول المقدسة التي سار عليها أبونا الكبير، أب النساك في الكنيسة وفي كل العالم المسيحي.

إن الحياة التي اقتبلها القديس أنطونيوس هي حياة حسب الإنجيل تماماً، آزرها الروح القدس بقوة فائقة. فقد كان خروجه من العالم وهو ابن ثماني عشرة سنة(١) ليعيش في الجبال والبراري المقفرة تعبيراً عن مستوى الإيمان الناري الذي امتلأ به قلب

(١) القديس أنطونيوس وُلد سنة ٢٥١م، باع ممتلكاته وانطلق نحو البرية سنة ٢٦٩، اعتكف في توحد كامل سنة ٢٨٥م، خرج من اعتكافه سنة ٣٠٥م، عاد إلى اعتكافه بعد أن أسس أديرة الفيوم و بسبير سنة ٣١٠م، نزل إلى الإسكندرية ليشجع المؤمنين أيام الإضطهاد سنة ٣١١م، تنيح سنة ٣٥٦م، و يقول المؤرخ «سيزار كنتي» إن أنطونيوس ساس في حياته نحو مائة ألف راهب.

أنطونيوس الفتى الغض ابن التنعمات، لم تحجزه عن تلبية دعوة الإنجيل ظروف أخته الوحيدة اليتيمة ولا إغراءات ثلثمائة فدان تبشر بأيام سعيدة حسب الجسد!

ولنعلم بكل يقين، أن حياة النسك التي رسمها الرب يسوع المسيح بأقواله ووصاياه في الإنجيل المقدس هي الدافع الوحيد الذي ألهب قلب الفتى أنطونيوس وجعله ينطلق تاركاً العالم وراءه، ولم يكن له أيُّ دافع آخر ولا كان أمامه أيُّ هدف آخر.

وهذا يقرره القديس أثناسيوس في كتابه عن حياة أنطونيوس الأولى بقوله:

[والرب حفظه لأجل فائدتنا وفائدة الآخرين لكي يكون معلّماً للكثيرين عن **النسك الذي تعلمه من الكتب المقدسة.**](٢)

حياة أنطونيوس فصل ٤٥

فطاعة الوصية المقدسة التي تحض على الحياة النسكية كانت له بمثابة الإلهام الوحيد المباشر الذي حركه ـــ دون فحص للوصية أو تفسير عقلي لها ـــ للإقدام على حياة النسك والتوحد والبعد عن العالم بإمكانياته الفردية الضعيفة.

وأية محاولة لتفسير الدوافع والأهداف لحياة النسك عند القديس أنطونيوس خلاف هذا، هي خروج عن الحق والواقع، فأنطونيوس الشاب [لما دخل الكنيسة وسمع الرب يقول: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعطِ الفقراء وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١)، للحال خرج من الكنيسة وأعطى القرويين ممتلكات آبائه، وكانت ثلثمائة فدان من أجود الأراضي، لكي لا تكون عثرة في سبيله هو وأخته، وباقي المنقولات باعها، وإذ توفرت لديه أموال كثيرة أعطاها للفقراء محتفظاً بالقليل لأخته،

---

(٢) يقول المؤرخ سوزومين (القرن الخامس)، إن تلاميذ أنطونيوس كانوا على مستوى الروحانية العالية، وقد ملأوا الأقطار البعيدة في ليبيا وفلسطين وسوريا وبلاد العرب وما بين النهرين. ومن أشهر تلاميذه هيلاريون الكبير أب الرهبنة في فلسطين وسوريا، وقد مكث ملازماً لأنطونيوس مدة شهرين قبل أن يرحل إلى فلسطين. أنظر جيروم

Opera Tom ii p. 13-40

ولكن لما دخل الكنيسة ثانية وسمع الرب يقول: «لا تهتموا للغد»، لم يستطع البقاء أكثر من ذلك، بل خرج وأعطى حتى القليل (الذي احتفظ به لأخته) للفقراء وتفرغ للنسك.]

وماذا كانت نتيجة هذه الجرأة والمحبة والطاعة؟ هذا نسمعه بعد ذلك في نهاية حياته إذ يفسره لأولاده في ختام دعوته التي أطاعها وأكملها هكذا:

[أنا المسكين أشكر إلهي وأمجده، هذا الذي أنا أخدمه بكل قلبي من صغري إلى الآن (١٠٥ سنوات) وأسمع منه، لأنه لم يتخلَّ عني بل عضدني وخلصني.]

(الرسالة ١٩)

من هذا يتبين بمنتهى الوضوح أن الحياة النسكية التي عاشها القديس أنطونيوس هي تطبيق عملي للوصية الإلهية المقدسة كما ألهمها الروح القدس لقلبه.

فإذا علمنا ذلك، فلنتوسل إلى الله أن يلهمنا هذا الأساس عينه حتى نؤمن يقيناً ونثق أنه لا يوجد دافع آخر ولا هدف آخر لحياة النسك الحقيقي إلا طاعة الوصية في حد ذاتها، حباً في المسيح. فإن كان صوم، أو صلاة، أو سهر، أو فقر، أو عفة، أو طاعة، أو أية فضيلة إنجيلية أو رهبانية، أو توحُّد كلي وموت عن العالم؛ فينبغي أن يكون الدافع الوحيد لهذا كله هو المحبة للرب يسوع لإسترضاء وجه أبيه بالطاعة والأمانة الكاملة:

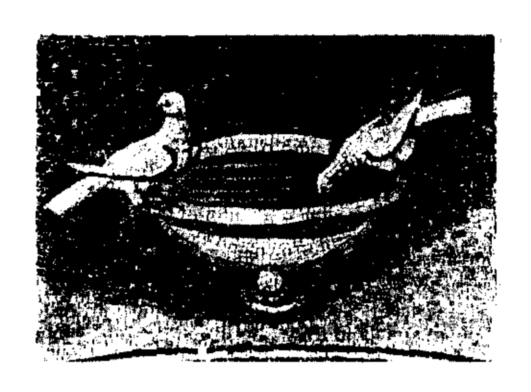
[إن الإنسان إذا كان يحب الله بكل القلب وبكل الفكر وبكل النية وبكل القوة فإنه يقتني خوف الله، والخوف يولد البكاء، والبكاء يولد قوة، وهكذا تثمر النفس بهذه القوة... فاقتنوا لكم هذه القوة لكي تخاف منكم الشياطين وتخفَّ عليكم الأتعاب (الفضائل) التي تمارسونها، وتحلو لكم الإلهيات... لأن حلاوة حب الله أحلى من الشهد.]

الرسالة التاسعة

[وأنا لا أفتر عن تذكاري لكم في صلواتي ليلاً ونهاراً لكي تكون أمانتكم لله ثابتة، فتزدادوا في عمل الفضائل، ويثبِّت ربنا نظركم ويُنمي إفرازكم

ويعطيكم قوة عظيمة أكثر مما هو لكم.]

فإذا انحرف الدافع أو انحرف الهدف عن هذا الأساس، تحت أي عوامل داخلية في النفس أو خارجة عن النفس، خرجت الحياة النسكية خارج حدود الإنجيل، ولا تعود مطابقة لحياة الآباء القديسين الأوائل، و بالتالي تكون غريبة عن إلهام الروح القدس، فلا تُحسب أنها دعوة إنجيلية حسب مشورة الرب.



معنى الطاعة للوصية عند القديس أنطونيوس

□□□

[لقد ذاع صيت أنطونيوس لا بسبب كتاباته ولا بسبب حكمته الدنيوية ولا لمهارته في أيِّ شيء، إنما لكونه **كان أميناً في خدمة الله.**] حياة أنطونيوس، فصل ٩٣

الطاعة للوصية، كما نفهمها من سيرة أنبا أنطونيوس وكما فهمها هو أيضاً، هي تنفيذ مباشر للوصية باعتبارها دعوة وأمراً من الرب لكل من يسمعها، وهي غير قابلة للتأويل، ولا يُنظر إليها من جهة الوعد الذي فيها ولا تُطاع من أجل المكافأة المتحصلة منها، وإنما يُنظر إليها كوصية ينبغي أن تُطاع بحب وأمانة، وهي تحمل في حد ذاتها قوة ومعونة لتنفيذها، فالروح القدس يدفع الإنسان سراً لحب الوصية وتنفيذها.

أما الغاية أو الهدف من طاعة الوصية فلا ينبغي أن يُحصر في المكافأة المذكورة في الوصية، وإنما يمتد بالغيرة والفرح والإلتهاب الذي يلقيه الروح القدس في قلب الإنسان ليكون موافقاً لمشيئة الرب مُحباً لوصيته، وهذا هو الملء النسكي!!

فعند تنفيذ القديس أنطونيوس لوصية الرب: «بِعْ أملاكك واعطِ الفقراء وتعال اتبعني ... فيكون لك كنز في السماء»، لم يكن هدفه عند بيع أملاكه الحصول على كنز في السماء، ولكن واضح أن هدفه كان التمتع بطاعة الرب وأن يوجَد تابعاً فرحاً أميناً لوصيته! فأنطونيوس لم يكن له يوماً من الأيام أهداف شخصية في نسكه غير الوصية، فالوصية كانت دائماً هدفه!!

لأنه لو كان هدف أنطونيوس من بيع أملاكه هو الحصول على كنز في السماء لكان اكتفى ببيع أملاكه، ولكننا نجده في اليوم التالي عند سماعه أمراً آخراً: «لا تهتموا للغد»، يقوم في الحال و يترك العالم و يتفرغ للنسك ــ كما تقول السيرة.

أي أن القديس أنطونيوس أوقف نفسه وحياته لطاعة وصايا الرب، فجعل هدف جهاده من كل وصية، وصية أخرى، كأن يداوم على الصلاة ليحصل على نقاوة القلب ولتزداد صلاته قوة وقبولاً، أو يتضع لينال معونة الروح القدس وليزداد اتضاعه وهكذا. فالدافع له في نسكه كان وصية، وغايته كانت وصية، وبهذا كانت الفضائل الإنجيلية شُغل قلبه الشاغل الذي يملأ حياته، وكان دائم التوسل للحصول على قوة الرب ومعونة الروح القدس حتى تكمل نصرته.

[ليست الفضائل بعيدة عنكم بل هي لكم وفيكم... وإذ قد بدأنا السير في طريق الفضيلة فعلاً وسرنا فيه وجب أن نزداد جهاداً للحصول على تلك الأمور التي أمامنا... وطالما كانت الفضيلة فينا وتنشأ منا لذلك فإنها لا تتطلب منا سوى الإرادة «ملكوت الله داخلكم».] حياة أنطونيوس، فصل ٢٠ والرسالة الرابعة

[وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسية وتلزموا الهدوء بكل نوع لكي تسكن فيكم القوات السمائية بمؤازرة الروح القدس حتى تعينكم على العمل بإرادته.] الرسالة الثامنة

وظلت الوصية هي الدافع وهي الهدف، كقوتين دافعتين للقديس أنطونيوس في كل تنسكاته الفائقة، من صوم، وصلاة بلا انقطاع، وسهر على الدوام، وحفظ طهارة الجسد والقلب والعقل، ومحبة ووداعة وخدمة، فصارت حياته إنجيلاً حياً مقروءاً، لأنه في كل هذا لم يخرج قط عن هدفه وهو طاعة وصية الرب، ولم يبالِ قط بالوعود المنتظرة للذين يطيعونها ولا وضعها أمام عينيه، بل إن الشياطين لما حاولت أن تغريه بالتفكير في المكافأة وإكرام نسكه كان ينتهرها معتبراً أن مجرد التفكر في المكافأة أو ترقُّبها هو خروج عن حدود الطاعة للوصية.

[وحتى إذا مدحت الشياطين نسككم ودعتكم مباركين فلا تصغوا لها... فكم مرة دعتني مغبوطاً فانتهرتُها باسم الرب...] حياة أنطونيوس، فصل ٣٤ و٣٨

ولم يكن القديس أنطونيوس يدري أن الروح القدس يرسم فيه هذا السلوك وهذه الحياة لتكون شهادة نقية للإيمان بالإنجيل، ونموذجاً للسيرة الرهبانية المقدسة في كل أنحاء العالم.

هذه النظرة العملية للوصية تُعتبر في حد ذاتها تعبيراً صادقاً عن روح النسك الأصيل، ليس من القديس أنطونيوس بل من الروح القدس، لذلك فهي تكشف لنا عن سر القوة والمعونة التي لازمته كل أيام حياته، وتعطينا صورة أصيلة لحياة النسك المسيحي المحصور في طاعة شخص الرب يسوع.

لأن الذي يكتفي بطاعة الوصية دون النظر إلى المكافأة، يبرهن على أنه دخل حالة إلهام نسكي من الله، و يعلن عن إخلاص الدافع القلبي لإتّباع الرب يسوع حباً في شخصه وطاعة لكلمته، وليس طمعاً في موهبة أو في حالة روحية خاصة أو مغنم سماوي أو أرضي!

لذلك نسمع القديس أنطونيوس يقرر هذه الحقيقة لأولاده في رسالته الثامنة بقوله:

[ومن الآن أنا أطلب من إلهي بسببكم ليلاً ونهاراً لكيما يعطيكم مواهبه التي أعطانيها بنعمته فقط وليس باستحقاق فيَّ، لأن هذا هو الغنى العظيم الذي أعطانيه ربنا.]

كما نقرأ في الفصل ٣٣ من كتاب القديس أثناسيوس:

[لا يصح أن نصلي لكي نعرف المستقبل أو نطلب المعرفة كأجر لنُسكنا، بل لتكن صلاتنا من أجل أن يكون الرب معيناً لنا.]

أما الذي يضع المكافأة المذكورة في الوصية كأساس وهدف لجهاده، فإنه دون أن يدري أو يحس يتجاوز شخص الرب يسوع و يسقط بعيداً عن معنى الطاعة للوصية المقدسة، لأن جهاده سيكون مدفوعاً بغيرة ذاتية للوصول إلى تحقيق شهوته وليس حباً

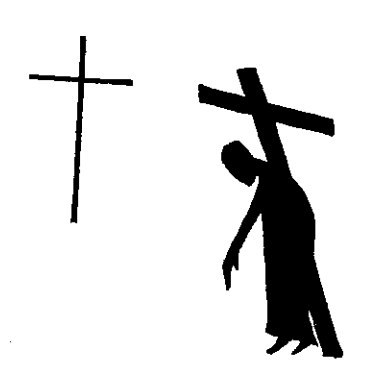
للمسيح، وتنفيذه للوصية سيكون من أجل الموهبة المنتظرة وليس من أجل بلوغ طاعة الرب.

هذا يتضح جداً حينما نواجه الوصية القائلة: «من يضع نفسه يرتفع» (لو١٨ : ١٤)، فالذي يتضع **لكي يرتفع** لن يستطيع أن يتضع بالحقيقة، بل هو غير متضع أصلاً، لأن الدافع عنده هو الإرتفاع. إذن فهما نفذ الوصية بأعمال صعبة حتى إلى الموت، وهو واضع المكافأة نصب عينيه كأساس لجهاده، فهو لن يُعتبر طائعاً لله ولن يُحسب مُنفِّذاً للوصية، بل يُحسب مطيعاً لأهوية قلبه مُنفِّذاً لمشيئته... وفي هذا يقول القديس مار إسحق:

[الذي يتضع لكي يكرمه الناس، الله يفضحه.]

فالذي يرفع المتضع ليس اتضاعه، ولكن الله هو الذي يرفع المتضعين، أي أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى المكافأة بجهاده.

من أجل هذا، فلكي تكون أعمال النسك مقدَّمة حسب إرادة الله ينبغي أن تكون في حدود الطاعة لله فقط دون النظر إلى مكافأة أو مواهب، حيث ينبغي أيضاً أن تكون النية الداخلية في الطاعة للوصية واتِّباع المسيح هي حباً في شخصه.



تقديم الحياة كلها لله هو سر قوة النسك
عند القديس أنطونيوس

□□□

[لا تعطوا من الآن نوماً لعيونكم ولا نعاساً لأجفانكم حتى ترفعوا ذواتكم ذبائح طاهرة للرب وتستحقوا أن تعاينوه، لأنه بغير الطهارة لا يمكن لأحد أن يعاين الرب كما يقول الرسول.] الرسالة الخامسة

[ولأجل هذا يا أولادي الأحباء لست أملُّ من الطلبة عنكم في الليل والنهار أن يعطيكم قلباً مستيقظاً وروح إفراز، لكي تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحة حية مقدسة.] الرسالة السادسة

ومن سيرة القديس أنطونيوس نستشف اتجاهاً واضحاً من أعماله النسكية الجريئة الشجاعة المخلصة، وهو أن أنطونيوس نوى فعلاً على تقديم حياته لله منذ البدء. هذا الإتجاه، أي تقديم الحياة لله دون المبالاة بضعف أو مرض أو موت، ودون مبالاة بهزء الناس وانتقاد الأهل وملامة الأصدقاء، مع قطع كل أمل أو حتى مجرد الفكر في الرجوع عن تقديم الحياة كلها لله، هذا الإتجاه هو سر كل أعمال القديس أنطونيوس النسكية، سواء في جرأته في سُكنى القبور أو التوحد في الجبال البعيدة القفرة منفرداً وسط الوحوش، أو مقاومته للشيطان بشجاعة أو في نموه الروحي المتزايد حتى وهو في سن الشيخوخة.

[وإذ قد بدأنا السير في طريق الفضيلة فعلاً وسرنا فيه، وجب أن نزداد جهاداً... وأن لا يلتفت الإنسان إلى ما وراء كإمرأة لوط... لأن الإلتفات إلى الوراء ليس إلا الشعور بالندم والتفكير في العالم مرة أخرى.] حياة أنطونيوس فصل ٢٠

لقد أخضع القديس أنطونيوس كل نفسه لوصية الرب القائلة: «مَنْ أضاع حياته من أجلي يجدها...» (مت ١٠ : ٣٩)، لقد سلَّم حياته كلها لله وانتهى من ذبح نفسه منذ أول لحظة. لذلك فأعماله النسكية كلها كان يعملها لله وليس لنفسه. لم يعد يترجى أن يأخذ لنفسه شيئاً، لأنه أعطى نفسه لله، فصارت نفسه حية لله وميتة لنفسه وللعالم. فهو لم يكن يجاهد ليبلغ درجة معينة من القداسة، لا في نظر نفسه ولا في نظر الناس، لأنه كان قد أخلى نفسه من كل شهوة المكافأة إذ قدم حياته لله التي لم تعُد مِلكاً له ليزيد عليها شيئاً، وإنما اكتفى بطاعة وصايا الرب التي ظل يستزيد في حبها و يتقدس بطاعتها حتى آخر نسمة.

القديس أنطونيوس كان يجاهد بكل قوته ليحفظ جسده وقلبه وفكره طاهرين بالنسك والصلاة، لا لكي يبلغ درجة روحانية عالية ولكن لكي يُرضي الرب بحياته و يظل مطيعاً لوصاياه ويحيا حسب مشيئته، أي ليحفظ لله حياته التي قدمها له لتكون أمامه نقية و بلا عيب فيتقبلها الله منه كذبيحة حب:

[لأن تقديم النفس يجعلها روحانية مثل حالتها الأولى التي خُلقت بها... وكما قبلنا النفس وديعة من الله فلنحفظها هكذا نقية من الأفكار الدنسة، لكي إذ نقدمها له بحالها كما خلقها يتعرف عليها.] حياة أنطونيوس فصل ٢١

لذلك، فالضيقات والأتعاب والمصادمات التي قابلها من الطبيعة والأشرار والشياطين، لم يقف عندها القديس أنطونيوس متسائلاً أو حزيناً أو متذمراً!

أليست حياته قد صارت مِلكاً لله؟ أليس الله حراً يفعل فيها ما يشاء؟ وما عليه إلا أن يبقى مطيعاً لتدبير الله وعمله؟ لم ينظر أنطونيوس إلى المكافأة في احتماله الضيقات والمحن لأن الحياة قد صارت ملكاً لمن يدبرها، بل ولا كان ينتظر نهاية للأتعاب والضيقات لأنه لم يكن يتطلع إلى راحة نفسه، فراحة نفسه وتعبها هما أيضاً لله!!

ومن هذا نستطيع أن نرسي الحياة النسكية التي مارسها القديس أنطونيوس على أساسين:

الأول ــ الطاعة المطلقة لوصية الرب يسوع، دون أي هدف أو غاية أخرى.

الثاني ــ تقديم الحياة كلها لله، وجعل كل الإجتهاد النسكي **محصوراً** في حفظ هذه الحياة طاهرة لله.

كذلك نستطيع أن نستبعد من الحياة النسكية التي مارسها القديس أنطونيوس شائبتين خطيرتين طالما لوّثتا الأعمال النسكية فيما بعد:

الأولى ــ جعل الأعمال النسكية هدفاً في حد ذاتها.

الثانية ــ الإمتداد بالأعمال النسكية لتكون واسطة لمواهب أعلى أو مكافأة أخرى؛ حيث الشائبة الأولى تصير سبباً في إسقاط قيمة الوصية باعتبارها محبة للرب يسوع، والشائبة الثانية تُسقط الحياة النسكية من أن تكون ذبيحة حب وإيمان.



حياة أنطونيوس إمتداد لشعلة يوم الخمسين

□□□

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلتهُ أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم قدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا بإستقامة قلب هذا الروح الناري وحينئذ يُعطى لكم... ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا: «من يقدر أن يقبل هذا؟»، لا يا أولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم بل اطلبوا بإستقامة قلب وأنتم تقبلونه، وأنا أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل من يُفلِّح ذاته بهذه الفلاحة (النسك الإنجيلي) فإن الروح يُعطى له في كل جيل وإلى الأبد... أديموا الطلبة بإجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطى لكم، لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة، وإذا قبلتموه، فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأموراً أخرى لا أستطيع أن أعبِّر عنها، ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً وتكونون في هذا الجسد كمن هو في الملكوت، ولا تعودون تطلبون عن أنفسكم فقط بل وعن الآخرين أيضاً، لأن كل من قَبِلَ هذا الروح، يستطيع أن يطلب عن الغير... وأنا طلبتي الآن من أجلكم ليلاً ونهاراً، ليكون فيكم هذا الروح العظيم الذي قَبِلَه جميع الأطهار.]

الرسالة الثامنة

«وكانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة» (أع ١ : ١٤).

حادثان عظيمان في حياة الكنيسة:

الأول: حلول الروح القدس يوم الخمسين على جماعة التلاميذ المنتظرين له حسب وعد المسيح والآب.

الثاني: بداية الحياة الرهبانية في الكنيسة.

ولأول وهلة يبدو أنه لا علاقة كبيرة بينهما. ولكن لو رجعنا إلى العناصر والأسباب والنتائج التي لازمت كلاً منهما، نستطيع أن نستشف علاقة وثيقة بينهما. فإذا تحققنا هذه العلاقة تماماً فإنه يمكننا أن نربط بين الحادثين ربطاً محكماً لنرى فيهما حادثاً واحداً مستمراً...

فحلول الروح القدس يوم الخمسين كان البداية التي قامت على أساسها قوة الشهادة للمسيح، من اليهودية إلى أقصى الأرض، أما التأثير المباشر على المؤمنين فقد ظهر على صورة تحوُّل جارف نحو تكوين حياة جماعية مشتركة للمؤمنين على حساب تذويب الأسرة في الكنيسة، حيث جرت عمليات تنازل علنية عن الممتلكات لرؤساء الجماعة أي الرسل، وبجانبها تمت عمليات بيع للمخصصات الفردية وتسليم أثمانها، وترتب على ذلك ـــ أو ربما كان هذا هو الدافع ـــ تكريس الحياة كلها لخدمة الكنيسة في الداخل والخارج. وبهذا تشكلت صورة الكنيسة الأولى: جماعة مكرسين فقراء باختيارهم يعيشون حياة شركة.

فلو تأملنا في هذا الذي تم، لاندهلنا كيف أمكن لهؤلاء اليهود المحبين جداً للمال والملكية مع حبهم الشديد للتجارة والمكسب والرصيد، أن يتنازلوا و يبيعوا و يسلِّموا كل ما لهم تحت أرجل الرسل، وفي لحظة يصيرون فقراءَ معدمين!

كذلك لو تأملنا في تسليمهم لكيان الأسرة لتذوب كل روابطها اليهودية من جهة الأسباط وحفظ الأنساب وسلطان الأب وميراث البكر، لتَدخُل ضمن كيان الكنيسة، تحت أُبوة جديدة ونسب جديد روحي يصير فيه الكل إخوة، وحيث يتحول الميراث الأرضي والتخوم الأبوية إلى رجاء بغير المنظور؛ لو تأملنا في هذا كله، لتيقَّنا أنها قوة فائقة للطبيعة البشرية تلك التي أرسلها المسيح بعد صعوده بعشرة أيام في شخص الروح القدس. «...تنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم.» (أع ١: ٨)

و ينبغي الآن أن نتبين أن هذه القوة الروحية الجديدة التي تقبَّلها المؤمنون، كان أوَل

عمل لها **تحويلاً جذرياً في الطبيعة البشرية**، في علاقتها بالمال والأسرة والكيان الإجتماعي بالنسبة للعمل الدنيوي. وأية طبيعة؟ الطبيعة اليهودية العنيدة التي أخفقت كل وسائل الله سابقاً في تهذيبها روحياً سواء بالمحبة والعطف والحماية مع فيض من الخيرات الأرضية، أو بالمعجزات العيانية، أو بالقسوة والعنف والسبي والبهدلة — كل هذا لم يستطع أن ينتقل بالطبع اليهودي درجة واحدة ناحية السلوك الروحي الخالص.

هذا الطبع أُخضع للروح القدس في لحظة، وصار مثلاً مُذهلاً للتجرد والإماتة والزهد وتكريس الجسد والقلب والفكر لله.

ولكن الذي نود أن نتأمله جيداً هو شكل الكنيسة الأولى: إن هذا الذي حدث في يوم الخمسين وبعده كان إستجابة حرة مطلقة لفعل الروح القدس في القلب. والكنيسة بدأت شكلها بدون أي تنظيم أو تخطيط. فالروح القدس كان يعمل أولاً في كل قلب، وكل من يتقبَّل عمل الروح كان يذهب ويبيع كل شيء حتى نفسه ويأتي لينضم إلى الكنيسة. كان مفهوم العضوية في الكنيسة الأولى أن يبيع الإنسان ممتلكاته وخصوصياته وأسرته أيضاً، لأنه إذا امتنع الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو الإبن أو الإبنة أن يقبل هذا الإيمان فكان على الإنسان أن يتركهم ويترك كل شيء ويأتي إلى الكنيسة بمفرده. الكنيسة هنا صارت بمثابة المسيح نفسه، «...ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مت ١٩: ٢٧)، لأن الروح القدس كان متركزاً بصورة سرية في وسط الجماعة.

كانت هذه الحركة الأولى التي باشرها الروح القدس بنفسه في قلوب المؤمنين البسطاء، هي صورة طبق الأصل من الحركة التي صنعها الرب يسوع في قلوب تلاميذه: هجرة كاملة للعالم، وترك كل شيء، والمسير وراء الله.

غير أن الكنيسة لم تستطع أن تحتفظ بهذا الوضع الإجتماعي الإقتصادي الجديد. أما هذا الذي حدث أولاً، بتلقائية الروح والإستجابة له فكان صورة فقط لما سيكون في آخر الأيام، كعيِّنة مفرحة للملكوت العتيد أن يعيش فيه الإنسان بالتجرد الكامل تحت حكم

الله وتدبيره المطلق.

ولـكن، كان عزيزاً على الروح القدس أن تفقد الكنيسة صورتها الملكوتية هذه، وأن تضيع من قلب الإنسان هذه الإستجابة الحرة لدعوة الملكوت بالتجرد الكامل وهجر العالم هـجراناً كلياً، لأن هذه الصورة بحد ذاتها تُعتبر من صميم عمل الروح القدس وهي شهادةٌ للـرب يـسوع، وتحقيقٌ متواصلٌ للإنجيل. لذلك ظلّ الروح يعمل في القلوب لتحقيق هذه الإستجابة نحو التجرد الكامل والإماتة الكلية وهجران العالم، وإنما بصورة فردية وليست جماعية، على أنها لم تكن أقل قوة أو شهادة من الحركة الجماعية الأولى؛ فظهرت حالات الإستشهاد الرائعة التي عبّرت أقوى تعبير عن استمرار قوة الروح القدس المنسكب في قلب المؤمنين، وأفصحت عن قدرة التجرد والإماتة الكامنة في قلب الكنيسة، في أعلى حدودها، كإستجابة واضحة لدعوة ترك كل شيء وغلبة العالم بالإيمان بغير المنظور.

ولم تنتهِ حالات الإستشهاد حتى بدأت إستجابة جديدة لدعوة الروح القدس عينها بصورة أخرى، تكاد تكون طبق الأصل من الإستشهاد، إنما كممارسة يومية وعلى مدى الحياة!!: **الرهبنة** التي لا تزيد عن كونها ترك كل شيء، وحمل الصليب **كل يوم**. هذا إذا حاولنا أن نمجد الدعوة الرهبانية. ولكن لو أنصفنا، لرأيناها إستجابة؛ مجرد إستجابة لحرارة الإيمان البسيط الهادىء التي يزكيها الروح القدس بلهيبه السري، فيترك الإنسان كل شيء و ينطلق وحيداً ليحقق إيمانه ورجاءه وحبه مع الله.

وقد رأينا أن الإيمان الأول في الكنيسة بدأ بهذه الصورة عينها، تَرْك كل شيء، وبَيْع كل شيء، وهُجْران كل شيء، حتى كل أفراد الأسرة؛ للإنضمام إلى الكنيسة والتكرُّس لحسابها، أو على الأصح للسير وراء الله. ورأينا الإستشهاد أيضاً هكذا إنما بصورة خاطفة.

الرهبنة، إذن، هي امتداد للإيمان الأول بدون تعديل. فنحن نقرأ في سيرة القديس أنطونيوس هذا المعنى تماماً:

[وفي ذات يوم ناجى أنطونيوس نفسه وهو ذاهب إلى بيت الرب، كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا المخلص، وكيف يذكر سفر الأعمال عن الذين باعوا ممتلكاتهم وأتوا بأثمانها ووضعوها عند أرجل الرسل.]

فاللهب الذي اشتعل في قلب أنبا أنطونيوس، كان امتداداً للَّهب الكامن في قلب الكنيسة والذي اشتعل فيها يوم الخمسين. فالرهبنة، أصلاً، فعل غير منطفىء للروح القدس بدأ يوم الخمسين بهجران العالم فكوَّن الكنيسة الأولى، وتأجج في أزمنة الإستشهاد فشرح قوة إيمانها، ثم استقر في الحياة الرهبانية يعزِّي قلب الكنيسة بحرارة الإيمان الأصيل القائم على التجرد والهجران الكلي للعالم، فصارت الرهبنة كنبضات من الروح القدس آتية إليها من خلف العالم، من البراري والقفار، لتنعشها إلى مدى الأيام.

***

لما حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، دخلت الكنيسة في حالة نشاط روحي بلغ الدرجة القصوى من الملء في كل موهبة إلهية، بقدر ما تحمَّلت الطبيعة البشرية، وبقدر ما استجابت لدفقات الروح وإلهاماته وإستناراته؛ فكان كبداية لحمل رسالة البشارة والشهادة للرب يسوع إلى أقصى الأرض.

وكان محور الشهادة علامات ومعجزات وآيات تتبع المؤمنين، فائقة على الطبع البشري، كقوة مضافة على الإنسان تشهد لنفسها وتشهد لمنبعها وأصلها: «أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي. إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، إله آبائنا، مجَّد فتاه يسوع... وبالإيمان بإسمه، شدَّد آسمُه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم.» (أع ٣: ١٢—١٦)

وهكذا ظلت الآيات والمعجزات هي محور الشهادة والتبشير، إلى أن حلَّ عصر الإستشهاد، وبدأت البشارة بالإنجيل، والشهادة ليسوع المسيح، تظهران بدون معجزة كقوة

أعلى من المعجزة، أعلى من روابط الأسرة، أعلى من محبة العالم وتهديده، أعلى من الطبيعة البشرية وإلتزاماتها وخوفها من الموت، وأعلى من كل الحياة التي على الأرض. فكان منظر إنسان مؤمن حديث الإيمان يستشهد علناً تحت أقسى أنواع التعذيب والموت بإسم يسوع من أجل يسوع، هو أوضح تعبير عن معنى الإيمان بالمسيح وقوته، إذ كان بحد ذاته كفيلاً بأن يجعل الواقفين يؤمنون بالرب يسوع، بل إن الوالي نفسه والمعذِّبين كانوا كثيراً ما يرتعبون و يؤمنون. وهل يمكن لأي إنسان أن يتمالك نفسه إزاء منظر الأم «دولاجي»، وهي تقدِّم أولادها الأربعة الصغار للذبح، وتشجعهم على الإستشهاد، ثم تقدم نفسها للسيف بعدهم، حُبّاً في المسيح؟!

وهكذا برز الإستشهاد كمحور آخر دارت عليه البشارة بالإنجيل والشهادة للرب يسوع، لم تكن هذه القوة معجزة في حد ذاتها، لأنها لم تبدُ منفصلة عن طبيعة الإنسان كالمعجزة، فشفاء الأعرج وإقامة «طابيثا» من الموت مثلاً لم يكونا قوة طبيعية في بطرس ولكن كانت قوة آتية من خارجه، استحضرها بطرس بالدعاء والتوسل والإيمان... أما الإستشهاد فهي قوة تعادل المعجزة تماماً، ولكنها متحدة بطبيعة الإنسان.

الإنسان الشهيد يتقبَّل نفس قوة المعجزة، إنما في طبيعته، لتكون قوة حاضرة فيه يشهد بها للحياة الأخرى؛ لا ليشفي بها مرض الآخرين بل عدم إيمانهم. هنا الشهيد يتقبَّل من الروح القدس قوة ومعجزة يعلنها في نفسه كأنها صارت له ومنه، يُميت بها ذاته ليُحيي بها الآخرين، يوازن بها — أمام نفسه وأمام الله وأمام الحاضرين — بين أفضلية الموت للمسيح عن الحياة بدون المسيح، شاهداً بهذا أن: «لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح.» (في ١ : ٢١)

الشهيد بقوة شهادته يعلن عن إيمان تغلغل فيه، وعن قوة إلهية حية إتحدت بطبيعته؛ هذه القوة تُستعلن قيمتها عند سفك الدم، عندما يسقط الجسد على الأرض، فتتجسم الشهادة، وتتحدد، وتُعلَن، وتُضاف لحساب الإنجيل، كقوة حياة إلهية متحدة بالطبيعة البشرية، يدفعها الموت بالصدق كشهادة لا تكذب وكأساس تنمو عليه الكنيسة

وترتفع .

فإن كانت المعجزات والآيات في العصر الأول تُعتبر إنجيلاً مقروءاً من فوق الطبيعة البشرية وبواسطتها، فالإستشهاد في العصر الذي يليه صار إنجيلاً مقروءاً في صميم الطبيعة البشرية كفعل إلهي بشري فوق الطبيعة ومتحد بها .

***

إذن، فالتدرج في الشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية سار في العالم بدقة مدهشة، **أولاً** بقوة المعجزة كإقامة الميت حياً لإظهار قوة الله في حد ذاتها منفردة كقوة أعلى من الموت وأعلى من الطبيعة البشرية؛ ثم **ثانياً** بقوة الإستشهاد أي قبول الموت عن فرح وسرور بسبب قبول قوة الحياة الأبدية الفاعلة في الطبيعة البشرية، كقوة تستطيع أن ترفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها في لحظة واحدة بإيمان منقطع النظير، كقوة تتوازن مع الموت ثم تقهره بشجاعة .

أما **ثالثاً**، فهنا تنفتح الشهادة على المجال الرهباني، الذي يأتي في الدرجة الثالثة للشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية ضد العالم، وذلك بقبول قوة من الله، بفعل الروح القدس للخروج من العالم شكلاً وموضوعاً؛ أما شكلاً فهذا معروف، أما موضوعاً فذلك بتحويل الطبيعة البشرية من الوضع الطبيعي الميت بالخطية، إلى الوضع فوق الطبيعي الحي بالنعمة، يوماً بيوم، ثم البقاء في هذا الوضع الفائق على الدوام ذبيحة حية وشهادة أبدية للقوة الإلهية التي استقبلها الإنسان في صميم طبيعته .

فالحياة الرهبانية تشمل الفعلين السابقين للروح القدس: فعل المعجزة بإقامة الميت حياً، وفعل الإستشهاد الذي يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها؛ ثم يزيد عليهما الروح القدس إستمرار قيام الإنسان في حالة التحول من الموت إلى الحياة كل يوم، مع بقاء تمسكه بالوضع الفائق للطبيعة .

فالراهب إنسان مسيحي قد مات ولكنه قام ليعيش، شاهداً كل أيام حياته للقيامة الحقيقية.

وهو مُستقبِل في طبيعته الميتة فعلاً حياً فائقاً لطبيعته الذي هو نسمة الحياة الأبدية، لذلك هو يستشهد كل يوم بفرح:
[وحينما كفّ الإضطهاد بعد أن تقبّل بطرس خاتم الشهداء إكليله، غادر أنطونيوس الإسكندرية وعاد راجعاً إلى وحدته حيث قدم نفسه كل يوم شهيداً إزاء ضميره، محارباً في معارك الإيمان الخفية، إذ كان يمارس النسك بغيرة فائقة.](١)

والراهب بذلك لا يمثل إلا صورة أصيلة للإيمان الأول كفعل حي للروح القدس الذي بدأ يوم الخمسين كالنار، ثم عبر عصور الشهداء فتخضّب بالدم، ثم استقر خلف العالم يوازنه و يشهد ضده.

*

الرهبنة إذن هي آخر مرحلة من مراحل الشهادة للإيمان المسيحي الحار الملتهب، الذي استقر في الكنيسة بفعل الروح القدس. ليست هي إيماناً مسيحياً خاصاً ولا درجة من درجات الكمال في الإيمان، وإنما هي صورة حية للشهادة للإيمان المسيحي، تُمثّل أو تعيد إلى الذهن بدء الإنفعال للإيمان لما حل الروح القدس يوم الخمسين، حينما ترك كلُّ إنسان كلَّ ماله وأهله و بيته وانضم للرسل ــ كوصية الرب أصلاً؛ وهي تمثّل أيضاً أو تعيد إلى الذهن الإنفعال الإيماني للإستشهاد حينما استلزمت الشهادة للمسيح حمل الصليب والموت علناً!

فالرهبنة حياة شهادة لإيمان حار، كصورة صادقة لإيمان الكنيسة الأولى وحياتها، فهي نموذج للحياة المسيحية الأصيلة حسب الوصية تماماً. ليست نموذجاً أعلى، وإنما هي نموذج صادق.

---

(1) J. Quasten, Patrology, III, Ch. 47.

لذلك حينما نتكلم عن الرهبنة فنحن نتكلم عن الحياة المسيحية الصادقة، وحينما نتكلم عن المسيحية الصادقة نتكلم عن الرهبنة كنموذج لها حي وموجود!!



كتابات القديس أنطونيوس

□□□

إذا مثلنا القديس باخوميوس بالنسبة للنظام الرهباني[1] بموسى الذي اشترع الناموس القديم، فالقديس أنطونيوس يقف بالنسبة للرهبنة عموماً موقف إبراهيم بالنسبة للعهد القديم كله كأب لجميع الآباء. ولكن للأسف، فبالرغم من أن القديس أنطونيوس سلمنا الرهبنة كميراث أبوى مبارك أغنى الكنيسة هذه العصور كلها، إلا أن آثاره الكتابية قليلة للغاية.

فكل ما يعرفه العالم عن كتابات القديس أنطونيوس ينحصر فيما يلي:

أولاً: سيرته المباركة التي كتبها القديس أثناسيوس على عجلٍ، إستجابة لطلب بعض الرهبان في الغرب. والمعروف أنه لم يكن هناك في الغرب إلا رهبان مبتدئون في إيطاليا وفرنسا كانوا على صلة سابقة بالقديس أثناسيوس أثناء زمان نفيه هناك. وزمن كتابة هذه الرسالة ــ التي تحوي سيرة أنبا أنطونيوس ــ كان على وجه التحقيق عام ٣٥٧م بعد وفاة القديس أنطونيوس بسنة واحدة، لأن المعروف أنه تنيح سنة ٣٥٦م.

ومن الرسالة نتحقق أن القديس أثناسيوس لم يجد فرصة كافية ليستكمل صورة حياته

---

(١) أول دير أنشأه القديس باخوم في «تابنسين» (بالقرب من دندرة) كان سنة ٣٢٥م، في حين أن القديس أنطونيوس كان في سنة ٣٠٥م يشرف على مجموعتين كبيرتين من الصوامع الإنفرادية: إحداهما في «بسبير» والأخرى في «النقلون» بالقرب من الفيوم. أي أن النظام الأنطوني استتب قبل النظام الباخومي بحوالي عشرين سنة تقريباً. وجدير بالذكر أن القديس آمون أسس ديره في جبل نتريا جنوب بحيرة مريوط عام ٣٢٢م؛ أي قبل باخوميوس أيضاً.

De Tellemont Tom VII, 107 & 666.

وأقواله من تلاميذه، بل اكتفى بذكرياته الخاصة وبعض المدوّنات القليلة من أقواله التي تضمنتها الرسالة.

ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه الرسالة صارت أثمن وثيقة في العالم عن الرهبانية بل والحياة النسكية على وجه العموم، خصوصاً وأن كاتبها شخصية مدققة ذات اعتبار علمي وروحي من أعلى مستوى. وفعلاً بمجرد أن ظهرت هذه الرسالة في الغرب، كان وقعها أكثر مما يتصوره العقل. ويكفي للتدليل على ذلك شهادة القديس أوغسطينوس في اعترافاته (٨ و٦ و١٤) على ما أحدثته من أثر في تحوله وتجديد حياته واقتباله الحياة الرهبانية. كما قام القديس چيروم وصديقه أوغريس بترجمتها إلى اللاتينية حوالي ٣٧٥م، فذاع خبرها وامتد أثرها إلى كافة الأنحاء حتى أسبانيا.

ثانياً: مجموعة قليلة من الرسائل كان يتخاطب بها القديس أنطونيوس مع الأديرة التي كانت تعتمد على رعايته، مثل مجموعة أديرة الفيوم (النقلون)، ومجموعة أديرة بسبير التي تبعد ٥٠ ميلاً جنوب القاهرة شرق النيل، وكانت بقيادة أماثاس ومكاريوس(٢) تلميذي أنطونيوس، ومجموعة أديرة نتريا(٣) جنوب الإسكندرية التي كانت بقيادة القديس آمون صديق أنبا أنطونيوس.

وهذه الرسائل مجموعتان:—

١ — مجموعة تحقق منها العلماء أنها أصيلة من إنتاج القديس أنطونيوس، وعددها سبع رسائل لا تزال توجد بأصولها اليونانية واللاتينية، وبعضها بالقبطية، وبعضها

(٢) القديسان أماثاس ومكاريوس هما التلميذان اللذان حضرا نياحة القديس أنطونيوس وقاما باستيداع جسده الطاهر تحت الأرض في مكان مجهول حسب وصيته. ومكاريوس هنا ليس هو مكاريوس الكبير، وهذا الأمر يحققه لنا القديس كرونيوس تلميذ أنبا أنطونيوس ومترجمه الخاص، الذي بعد نياحة أنبا أنطونيوس رحل إلى نتريا فجعلوه قس نتريا كلها. أنظر: The L.H. by Pallad. A.C.W. Ch. 21.

(٣) يوضح المؤرخ روفينوس في الأخبار التي أوردها عن زيارة القديس أنطونيوس لإقليم نتريا، أن صلة القديس أنطونيوس كانت على مستوى الرعاية لهذا الإقليم.

بالسريانية، وكلها بالعربية وهي مسجلة في مجموعة الپاترولوجيا جريكا تحت رقم: (Migne P.G. XI, 977-1000) وقد ذكر هذه الرسائل السبع القديس چيروم: (De Vir. i II.88) حيث يقول إنه «قرأها وتعجب من إنشائها الرسولي وقوة تعاليمها.»

٢ ــ مجموعة أخرى يرجح أنها ليست أصيلة للقديس أنطونيوس، و يعتقدون أن القديس أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس وخليفته هو الذي قام بتحريرها، وعددها ثلاث عشرة رسالة.

ولكن بدراستنا الشخصية للرسائل العربية العشرين المنسوبة للقديس أنطونيوس وتدقيقنا في مبادئها الروحية، و بالمقارنة مع ما جاء في كتاب القديس أثناسيوس نستطيع أن نقول إن الروح التي أنتجت هذه المبادىء والأقوال واحدة في جميعها، وإن الإنسجام في الأسلوب والعبارة يكاد يكون هو هو لا يتغير ولا يتزحزح. أما أصالة المبادىء وقوتها وعمقها فتشير إلى شخصية القديس أنطونيوس بكل وضوح.

ولكن وإن سلّمنا بأقوال العلماء أنها من وضع القديس أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس، فمعروف أن أموناس كان ذا شخصية فذة وله أقوال راجحة في مجموعة «أقوال الآباء»، وقد استقى من معلمه كل ما في جعبته بلا شك. و يكفي للتدليل على صحة مبادئه أن يعهد إليه القديس أنطونيوس بإدارة جماعة الرهبان بمنطقة «بسبير» ــ بعد نياحته ــ وهم أولاد أنبا أنطونيوس الأخصاء، وليكون أباً لجميع أولاده في كل مكان.

وهذه الرسائل العشرون[٤] بما فيها ما هو مناسب لأموناس، تحوي من المبادىء النسكية والتصوفية قدراً كبيراً، يقول العلماء إنها منبع للنسك والتصوف الشرقي بكل انطباعاته، كما يقرر العلماء أن المبادىء النسكية التي وردت فيها ذات قوة ورجاحة عالية، أو على حد تعبيرهم: "They preach a solid and healthy asceticism."

(٤) قمنا بدراسة وشرح وتعليق على رسائل القديس أنطونيوس (راجع كتاب: «رسائل القديس أنطونيوس»)، وسنقوم بدراسة عظات القديس مكاريوس وتحقيقها على الأصول الأولى تمهيداً لطبعها مع شرح وتعليق.

أما المبادىء التصوفية (التأملية) التي وردت فيها فهي، حسب تحقيق العلماء، تخلو خلواً تاماً من الصبغة الأوريجانية (٥)، مما يثبت أصالة الروح التصوفية في أيام أنبا أنطونيوس قبل أن يطورها إيفاجريوس البنطي (أوغريس) و ينشرها في الشرق على شكل نسكيات.

لذلك سوف نعتمد على الرسائل العشرين المنسوبة للقديس أنطونيوس باعتبار أنها من إنتاج القديس أنطونيوس، إلى أن يتوفر الوقت لمزيد من البحث.

والنسخة الخطية العربية قديمة الأصل جداً، وتوجد لها نسخة مطبوعة بالقاهرة عام ١٨٩٩م، وقد ظن العلماء أن النسخة العربية لا توجد لها أصول بلغات أخرى غير نسخة واحدة باللغة السريانية التي تُرجمت عن العربية بواسطة العالم الماروني «أبراهام إكشلينيسيس». ولكن بالبحث وجدنا لها أصلاً مختصراً في مجموعة الفيلوكاليا، و بالمطابقة وجدنا أن الأصل اليوناني المترجم للإنجليزية غير مأخوذ عن الأصل العربي لإختلافات في التركيب واضحة، ولكن الأصل لكليهما واحد وهو القبطية بلا نزاع.

كما عثرنا على نسخة عربية أخرى للرسائل العشرين، تختلف عن النسخة العربية المطبوعة بمصر اختلافات لفظية وتركيبية مما يدل على أنها غير منقولة عن النسخة المصرية، وهي مطبوعة في بيروت سنة ١٨٩٩، بواسطة الأب «أفرام الديراني الماروني».

وقد استعنا بجميع هذه النسخ في توضيح النصوص التي اقتبسناها لإبراز المبادىء النسكية عند القديس أنطونيوس.

ثالثاً: رسالة هامة مختصرة كان قد أنفذها القديس أنطونيوس لتلميذه «ثيئوذور»

---

(٥) التصوفية الأوريجانية هي محاولة لتحويل الروحيات إلى علوم ومناهج عقلية سيستماتيكية يطبقها المجتهدون بتداريب نسكية للوصول إلى الله. وهي مأخوذة عن الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة، وهي مذمومة عند الآباء الأقباط القديسين عموماً.

عن التوبة، وهي مسجلة في الپاترولوچيا تحت رقم Mgn. P.G. XI, 1065 ، وقد حققها العلماء وأثبتوا صحة نسبها للقديس أنطونيوس، وهذه ليس لها ترجمة عربية. أما الرسالة المعنونة إلى «ببنودة» (بافنوتيوس تلميذ أنطونيوس) تحت رقم ٢٠ من مجموعة الرسائل العربية فهي ليست عن التوبة.

رابعاً: بعض أقوال متناثرة عددها ٤٩ قولاً وردت في كتاب أقوال الآباء المعروف باسم: Apophtheg. Patr. by Annan Ishou, Tr. by Wallis Budge.

وهو الكتاب الذي جمعه العالم الرحالة «حنان عيسو السرياني» الذي جاء إلى برية شيهيت بمصر حوالي عام ٦٦٠م بعد الفتح العربي مباشرة، حيث زار الأديرة ونقل أقوال الآباء من المخطوطات الموجودة حينذاك باللغة السريانية والقبطية، وعدة هذه الأقوال ١٣٤١ قولاً. و يقول هذا المؤلف أنه جمع كتابه(٦) نقلاً عن كتابات المغبوط پالليديوس، بالإضافة إلى ما جمعه هو بنفسه، ومعروف أن پالليديوس جمع أقوال الآباء التي سمعها بأذنه والتي نقلها عن الآباء والتي وجدها مكتوبة عام ٤٢٠م.

خامساً: بعض أقوال متناثرة عددها أربعون قولاً مختصراً، وردت ضمن مجموعة أقوال الآباء المعروفة ببستان الرهبان في النسخة العربية(٧)، والنسخة العربية مترجمة حسب تحقيق العلامة «بطلر» من اللغة السريانية. ومعروف أن النسخة السريانية لبستان الرهبان نُقلت عن الأصل القبطي في أوائل القرن السادس، وذلك حسب تحقيق «واليس بدچ».

وعدا هذه الكتابات الأصيلة والمحققة توجد كتابات أخرى مزورة ومنسوبة للقديس أنطونيوس، ولكن أثبتت التحقيقات العلمية عدم صحة نسبتها إليه، وقد قمنا بمراجعتها

(٦) ونقوم حالياً بترجمتها إلى اللغة العربية مع حواش وشروحات وتفاسير.

(٧) ونقوم حالياً بمطابقة أقوال النسخة العربية لبستان الرهبان على النسخة الأصلية المترجمة منها تمهيداً لجمع كافة الأقوال في مجلد واحد.

فوجدناها فعلاً متباعدة عن الروح الرهبانية البسيطة، وغريبة حتى عن الأسلوب الآبائي الأول، أغلبها يحمل صبغة المجادلات التي اشتهر بها أوغريس وأتباعه. وهذه عبارة عن مائة وسبعين قولاً وردت في كتاب الفيلوكاليا عن الأصل اليوناني المطبوع في ڤنيس سنة ١٧٩٢م.

أما الترجمة الإنجليزية الحديثة المأخوذة عن النسخة الروسية فقد انتخبت من هذه الأقوال ١٠٥ أقوال فقط.

ومثيلاً لهذه الأقوال، من حيث أسلوبها العقلي، يوجد عشرون فصلاً من المواعظ موجودة باللغة العربية مع قانون رهباني منسوب أيضاً لأنبا أنطونيوس خطأ.



العناصر الأساسية في نسكيات القديس أنطونيوس

□□□

١ ــ الإنجيل أساس للنسك.
٢ ــ الروح القدس مؤازر من البداية حتى النهاية.
٣ ــ أخطر ما في النسك العودة إلى خلف.
٤ ــ الحياة النسكية نمو متواصل.
٥ ــ إتلاف النسك بإنقسام القلب.
٦ ــ الإفراز عماد النسك ومقياس الفضائل.
٧ ــ ضبط الجسد ضروري، وإضعاف الجسد له حدود.
٨ ــ ضرورة التوبة المتجددة بالتواضع والإعتراف بالخطيئة.
٩ ــ الفرح الروحي هو علامة صحة النسك.
١٠ ــ الأعمال الحارة فرضٌ وهِبَةٌ معاً!!
١١ ــ الكمال النسكي بالإجتهاد، والكمال المسيحي هِبَة، ولا غنى للواحد عن الآخر.
١٢ ــ التقليد الآبائي النسكي نور للطريق.

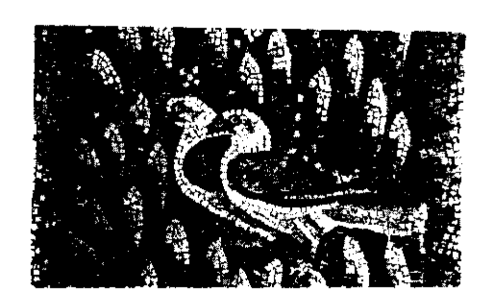
نقدم هنا موجزاً للعناصر النسكية الهامة في تعاليم القديس أنطونيوس، ونحن إذ نبرزها بكل وضوح وفي منتهي الإختصار نلفت نظر كنيستنا الأرثوذكسية لما في هذه التعاليم من أصالة إنجيلية واستقامة إيمانية وصحة نفسانية بدرجة فائقة.

بل ونلفت نظر إخوتنا المسيحيين في العقائد غير الأرثوذكسية لهذه التعاليم الروحانية القائمة على أصول غاية في المتانة والإحكام، فالقديس أنطونيوس يعلم و يبشر بعمل

النعمة وحرارتها الدافقة المتأججة التي تتحد بالأعمال فتجعل الأعمال نعمة والنعمة أعمالاً!!

والقديس أنطونيوس هو صاحب التعليم بأن الروح القدس هو الذي يدعو للتوبة و يؤازرها على طول المدى، وهو المسئول عن إذكاء الضمير بالندم والحزن على جهالات الخطيئة. كما أنه هو أيضاً المسئول عن ملء القلب بالفرح السمائي الذي ينمي النفس و يدسمها و يربطها بالرجاء المبارك والمستقبل السعيد!!

ونحن نتقدم إلى العالم أجمع بهذه التعاليم الرصينة كشهادة حية أن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر، هي مؤسّسة النسك الإنجيلي القائم على عمل الروح القدس والنعمة والذي ينمو بالفرح و يكمل بالرؤيا و ينتهي بالإتحاد!



العنصر النسكي الأول:

ملخص: الإنجيل هو الأساس الذي علمنا النسك، وعلى هدى وصاياه نمارس الحياة النسكية من البداية حتى النهاية.

□

أقوال القديس (١):

+ [الأسفار المقدسة كافية للتعليم] حياة أنطونيوس، فصل ١٦.

+ [إذا سلَّح الإنسان نفسه بأمانة لا تنثني نحو وصايا الله، فإن الروح القدس سيعلمه كيف يطهر نفسه وجسده] الرسالة الأولى من الرسائل السبع.

+ [واعلموا يا أولادي أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة، بل هي نور حقيقي وسرور أبدي لكل من أطاعها] رسالة ١٤.

+ [أخ سأل القديس أنطونيوس: «ما الوصية التي إذا عملتها أكون أرضيت الرب؟» فأجاب: «**اجعل الرب أمام عينيك على الدوام** أينما سرت، وقبل كل عمل **اجعل لك شهادة من الأسفار المقدسة** (تثبت صلاح عملك)»] القول رقم ٣٥ بالليديوس.

+ [لأني أعلم أن **من يعرف المكتوب** (في الإنجيل) **يعرف الله**، ومن يعرف الله، يعرف تدبيره الذي يصنعه في خليقته] الرسالة الثالثة.

+ [فالذين يريدون أن يتدبروا بمعيشة **النسك بيسوع المسيح**، يجب عليهم أن يطردوا الشهوات الجسدية متوسلين لدى الرب يسوع، وهو برحمته وتحننه يبطل عنهم كل الضيقات والتجارب التي تأتي على الجسد] الرسالة الرابعة.

(١) يلاحظ القارىء أنه لزيادة توضيح أقوال القديس، اضطررنا أحياناً لإضافة كلمات قليلة وسط الأقوال ووضعناها بين قوسين صغيرين ( ).

+ [أتى إخوة إلى القديس أنطونيوس وسألوه: « كيف نخلص؟ »
فقال لهم: **« هل سمعتم ما يقوله الرب؟ »**
فقالوا له: « من فمك أيها الأب ».
فقال لهم: من لطمك على خدك الأيمن حوِّل له الآخر أيضاً، (وصية نسكية أولية).
فأجابوه: ما نطيق هذا!!
فقال لهم: إذن فاصبروا على اللطمة الواحدة، (وصية نسكية أقل).
فأجابوه: وهذا لا نستطيعه!!
فقال لهم: إذن لا تكافئوا بالشر من يظلمكم (وصية نسكية أقل).
فأجابوه: ولا هذا أيضاً نستطيع!!
فما كان من القديس إلا أن دعا تلميذه وقال له: أصلح لهم مائدة واصرفهم لأنهم مرضى، هذا لا يطيقون، وذلك لا يستطيعون **ووصايا الرب لا يريدون، فماذا أصنع لهم؟**] بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص٨.

+ [سئل القديس أنطونيوس عن معنى قول الرسول: « افرحوا بالرب كل حين »؟
فأجاب: إذا فرحنا **بإتمام وصايا الرب فهذا هو الفرح بالرب.** فلنفرح إذن بتكميل وصايا الرب، و بنجاح إخوتنا، ولنحفظ أنفسنا من فرح العالم والضحك إن أردنا أن نكون من خواص ربنا] بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٠.

+ [سئل القديس أنطونيوس عن معنى القول: « تحب قريبك كنفسك »؟
فأجاب: **إن حياة الإنسان وموته هي متعلقة بقريبه،** فإذا أحسنَّا إلى أخينا فنحن ننتفع ونربح أنفسنا، وإذا أغضبناه فنحن إنما نسيء إلى الله!!] القول رقم ٣٣ بالليديوس.

+ [يا أولادي إحرصوا أن لا تجعلوا للشيطان فيكم موضعاً لئلا يأتي غضب الله علينا فيفرحون و يستهزئون بنا، فلا تطرحوا عنكم كلامي فإنهم يعلمون **أن حياتنا هي من بعضنا البعض**... فالذي يحب أخاه هو يحب الله ــ لأننا أعضاء لرأس واحد وهو المسيح ــ ومن يحب الله فهو يحب نفسه] الرسالة السادسة.

العنصر النسكي الثاني :

ملخص: الروح القدس يدعو الإنسان للتوبة ، فإذا استجاب الإنسان يشجعه و يسهل طريقه ، وإذا أطاع وسار يعلّمه الطريق ، وإذا اجتهد يطهره ، حتى يثمر لله !!

□

أقوال القديس :

+ [**الروح القدس الذي يدعو** الإنسان للتوبة هو الذي **يقود** التائب إلى الأعمال الروحية .

ــ وأنا أرى أن نعمة الروح القدس هي على أشد إستعداد **لملء** أولئك الذين أقبَلوا على الأعمال الروحية من كل قلبهم ، وصمموا منذ البداية أن يثبتوا في الطريق بعزم .

ــ والروح القدس الذي دعاهم **يسهِّل طريقهم** في البداية ، **ويجعل عمل التوبة حلواً وشيِّقاً .**

ــ وأخيراً **يكشف لهم كل أعمال التوبة** بمنتهى الحق ، **ويملأهم غيرة .**

ــ يلقِّنهم ما ينبغي أن يعملوه ، و يضع لهم حدود كل ما يختص بالجسد والنفس ، حتى **يبلغ بهم التحول الكامل نحو الله خالقهم .**

ــ ومن أجل هذه الغاية **يحثهم بإستمرار ليبذلوا** كل اجتهادهم بالجسد و بالنفس حتى يتقدسا معاً ، و يصيرا أهلاً لميراث الحياة الأبدية .

فهو يدفع الجسد لجهد الصوم والخدمة والسهر الكثير، أما **النفس فيدفعها**

للتدرب والنشاط بكل طاعة لكل عمل من خلال خدمة الجسد، بدون إهمال بل بمخافة الله ... حتى تحمل الثمر!] الرسالة الأولى من الرسائل السبع عن الأصل الإنجليزي.

+ [النفس إذا تسلحت بالصبر الدائم و بشهادات الله (وصاياه ووعوده)، فإن الروح القدس يرشد العقل إلى (وسائل) تطهير النفس والجسد كليهما من كافة الميول (الجاذبة للخطية)، فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم حينئذ تقوى عليه مجاذبات العدو وتنجسه، فإن رجعت (النفس) ولصقت بروح الخلاص فحينئذ تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها.

ــ وهذه الأقوال التي قلتها هي لأجل اتفاق الجسد والنفس في التوبة، فإذا نال العقل هذه النعمة، عند ذلك يطلب بالروح القدس فيبتدىء يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب (الطبيعية).

ــ والروح القدس إن كانت له شركة مع العقل بواسطة حفظ الوصايا التي تعلمها الإنسان، فإنه يرشده لينزع أمراض الخطية عن النفس واحدة بعد الأخرى.

ــ الروح القدس يصير له ملجأ و يزيده قوة و يطفىء عنه كل الشرور المتحركة عليه.

ــ والقلب الذي امتلأ بالنعمة يضبط الأعضاء ويحركها حسب إرادة الروح القدس لتخدم الأمور الحسنة، حتى يتكمل الجسد بجميع الحسنات و يرجع تحت سلطان الروح القدس] الرسالة الأولى.

+ [لذلك لا أملُّ من الطِلْبة من الرب عنكم لكي تعرفوا النعمة التي صارت لكم، لأن الله ينبه الجميع بمفاعيل نعمته، فلا تملُّوا ولا تتكاسلوا عن الصراخ لتستعطفوا صلاح الله الآب حتى ينعم عليكم بمعونة من العلاء وتعلموا ما يجب عليكم.

ـــ الـذي يـبـغض ما يختص بطبيعة هذا العالم (شهواته) و يرفع عقله نحو الآب ، فإن الله يـتـراءف على أتـعـابـه و **ينعم عليه بالنار غير المرئية لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتـطهر عقله ، وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس و يكون معه ،** فيستطيع أن يسجد للآب (بـالـروح والحق) كما يجب. ولـكـن إن بـقـيـنـا نحن مصطلحين مع طبيعة العالم الهيولانية ، فنحن سنظل أعداءً لله وملائكته وجميع قديسيه] الرسالة الخامسة.

+ [**إنـكـم قـد نلتم الطوبى المغبوطة بحصول النعمة فيكم ، لكن ينبغي لكم أن لا تتوانوا** في الحرب من أجل الرب الذي افتقدكم مُشرقاً لكم من العلاء حتى تصيروا له ذبيحة طاهرة مقدسة] الرسالة السادسة.



العنصر النسكي الثالث :

ملخص : أخطر ما في الحياة النسكية هو العودة إلى خلف ، ومثلها الملل !!

□

أقوال القديس :

+ [**لا تتراجعوا بعد أن ابتدأتم** ، أو تخور عزائمكم في الضيق .

ـــ ولا تقولوا لقد عشنا طويلاً في النسك ؛ بل بالحري **لنزدَدْ غيرة كأننا كل يوم مبتدئون** (هنا يضع القديس أنطونيوس نفسه ضمن المبتدئين)، لأن كل حياة الإنسان قصيرة جداً إذا قيست بالأبدية .

ـــ لذلك يا أبنائي **يجب أن لا نكلّ** أو نحسب الزمن طويلاً .

ـــ لذلك يا أبنائي **وجب أن نتمسك بنُسكنا** وأن لا نتغافل ، لأن الله عامل معنا في نسكنا كما هو مكتوب : «الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه حسب مشيئة الله يشفع في القديسين .» (رو٨: ٢٧)

ـــ ولكن لكي نتجنب التراخي والإهمال يحسن بنا أن نتذكر كلمة الرسول : «أموت كل يوم» (١كو١٥: ٣١)، وهكذا إن كنا نعيش كأننا نُمات كل يوم ، فإننا لا نخطىء .

ـــ **ويجب أن لا يلتفت أحد إلى خلف ، لأن هذا ليس إلا شعوراً بالندم** والتفكر في العالم مرة أخرى] حياة أنطونيوس فصل ١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ .

+ [**والروح القدس إذ يقود التائب يمنحه تعزياته الخاصة ويعلمه أن لا يلتفت إلى خلف** ، ولا يتشابك مع شيء مما في هذا العالم . ونحو هذه الغاية **يفتح الروح القدس عين النفس ويمنحها أن ترى جمال الطهارة** التي ستبلغها بعمل التوبة]
الرسالة الأولى من الرسائل السبع .

+ [اعلموا أنه **بصبركم تحلّون قوة العدو**] الرسالة السابعة .

العنصر النسكي الرابع:

ملخص: الحياة النسكية نمو متواصل نحو غاية سبق وعيَّنها الروح القدس لحياتنا.

لا بد من الإزدياد في الإجتهاد بما يناسب ما يضعه الروح أمامنا من أهداف.

□

أقوال القديس:

+ [وإذ قد بدأنا في طريق الفضيلة فعلاً، وسرنا فيه، **وجب أن نزداد اجتهاداً** للحصول على تلك الأمور التي (وضعها الروح القدس) أمامنا] حياة أنطونيوس، فصل ٢٠.

+ [الله يرشد الجميع بعمل نعمته **فلا تكسلوا ولا تملُّوا**، وصلُّوا ليلاً ونهاراً ليرسل الله لكم معونة من فوق فتعلمكم ما يجب أن تعملوه.

ـ فإذا نظر القديسون منا النشاط في تقديم أنفسنا والنمو، فإنهم يداومون الصلاة عنا أمام الخالق.

ـ ومن يعمل هكذا فإن الله يتراءف على أتعابه و ينعم له **بالنار غير المرئية لتحرق كل الآلام** (أمراض الخطيئة) التي فيه، وتطهر عقله فيسكن فيه الروح القدس]

الرسالة الخامسة.

+ [كل من يفلِّح نفسه بهذه الفلاحة، فإن الروح القدس يعطى له في كل جيل وإلى الأبد.

وأنا أعرف أناساً قبلوا الروح، ولما لم يكملوا هذه الفلاحة **لم يثبت فيهم**] الرسالة الثامنة.

+ [وأنا لا أفتر عن تذكاري لكم في صلواتى ليلاً ونهاراً، **لكي تكون أمانتكم ثابتة وتزدادوا في عمل الفضائل**، و يثبت الرب نظركم وإفرازكم، و يعطيكم قوة عظيمة أكثر مما لكم] الرسالة الثانية عشرة.

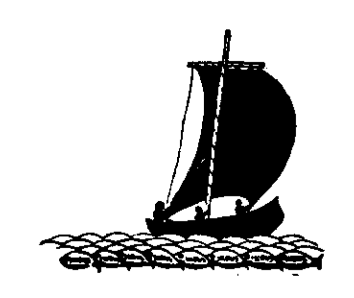
+ [وأنا دائماً أطلب من إلهي بسببكم لكي تنمو فيكم أعمال الروح القدس (اللاهوتية)، وأن يكشف لكم عن عظم أسراره.

ــ وطلبتي دائماً أن تبلغوا إلى هذا الحد فتعرفوا وتعلموا غنى ملكوت الله] الرسالة الثالثة عشرة.

+ [إعلموا يا أحبائي أن ليس الثابت في شيء واحد هو الناسك، **فكمال النسك هو أن لا يتعبد الإنسان لشيء من الشر.** والذي يتعبد لشيء واحد من الشر فإنه بعيد عن حد الكمال.

ــ يجب لمن يحب النسك أن يغاير يوسف في طهارته وعفته و يدرب ذاته **و يتقوى على جميع الشهوات**] الرسالة السابعة عشرة.

+ [لا تقدرون أن تتقدموا وتنموا إذا لم تسمعوا من تعاليم آبائكم ... لأن آباءنا هكذا صنعوا، فبسماعهم من آبائهم وتعليمهم تقدموا ونموا وصاروا معلمين] الرسالة الثامنة عشرة.



العنصر النسكي الخامس:

ملخص: إتلاف الحياة النسكية بسبب انقسام القلب، والتظاهر، والرياء، والقساوة.

□

أقوال القديس:

+ [أكتب إليكم هذه الرسالة يا أولادي المباركين لتعلموا أن الذين يحبون الله **ويأتون إليه بكل قلبهم** يستمع منهم ويعطيهم كل سؤالهم، فأما الذين لا يأتون إليه من كل قلبهم، وجميع أعمالهم يعملونها تظاهراً للناس لينالوا منهم المجد فهؤلاء لا يستمع لهم الله في شيء وطلباتهم تكون مردودة، ويرذلهم بسبب ريائهم.

ــ من أجل ذلك قوة الله لا تفعل فيهم **لأنهم يكونون ضعفاء القلب في كل ما يبتدئون به** من الأعمال، لذلك لا يذوقون لذة الله ولا فرحه، وتثقل أعمال الله عليهم كحمل ثقيل.

ــ أما أنتم يا أحبائي فإذا قدمتم أثمار أتعابكم أمام الرب، فاجتهدوا أن **تبتعدوا من روح المجد الباطل** حتى يقبل الرب ثماركم (أعمالكم) وتنالوا منه القوة التي تعطى للمختارين.

ــ وأما الذين يشاركهم الشيطان في أعمالهم، فإنه يتلف أثمارهم لأنهم يصنعون **فضائلهم ممزوجة بحب مجد الناس.** وهؤلاء يظن الناس أن لهم ثمرة (بسبب أعمالهم وأتعابهم) ولكن ليس لهم، والله يتركهم ليجفُّوا كالجميزة التي يبست]الرسالة العاشرة.

+ [كل الذين ثمارهم ميتة فإنهم لا يُعَدُّون نصيباً لله بل يلومهم قائلاً: حتى ولو لويت عنقك مثل الحلقة (بالمسكنة والإتضاع) ولبست مِسْحاً (لباس التوبة) وعفَّرت

رأسك بالتراب، فهذا ليس صوماً مقبولاً! لأن في أيام صومكم تصنعون إرادة قلوبكم الشريرة والذين تحت سلطانكم تقسون عليهم!!

يا أولادي إن هذه هي الثمار المائتة (الأعمال التظاهرية)، والذين يصنعونها لا يسمع لهم الله تضرعاً] الرسالة الخامسة عشرة.



العنصر النسكي السادس:

ملخص: الإفراز (التمييز بين الحق والباطل) هو عماد الجهاد النسكي ومقياس كل الفضائل.

□

أقوال القديس:

+ [حقاً إن **كل الفضائل نافعة** ويحتاج إليها كل الذين يطلبون الله و يريدون التقرب إليه، إلا أننا رأينا كثيرين يُهلكون أجسادهم بكثرة الصوم والسهر والإنفراد في البراري والزهد، ومع ذلك رأيناهم حادوا عن الطريق المستقيم وسقطوا وعَدِموا جميع تلك الفضائل، وسبب ذلك أنهم **لم يستعملوا الإفراز.** فالإفراز هو الذي يعلّم الإنسان كيف يسير في الطريق المستقيم ويحيد عن الطرق الوعرة. والإفراز يحذر الإنسان من أن يُسرق من اليمين **بالإمساك الجائر المقدار** (الإفراط) ومن الشمال **بالتهاون والإسترخاء** (التفريط)] بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٣.

+ [أنا لا أملُّ الطلبة عنكم ليلاً ونهاراً لكي يفتح الرب عيون قلوبكم وتعرفوا مكر الشياطين وشرهم، وأن يعطيكم قلباً صاحياً وروح إفراز لكي تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحة حية مقدسة، وتتحرزوا من مشورات الشياطين الرديئة.

ــ فهم الذين يجعلوننا ننمُّ بعضنا على بعض، ونزكي ذواتنا، وندين غيرنا، **ونتكلم بلسان حلو والمرارة في قلبنا**، وندين ظواهر الناس واللص داخل خفايانا، ونحارب ونقاوم لنقيم كلمتنا **ونظهر مكرمين**، و يدفعوننا إلى عمل أعمال لا نقوى عليها، ويخفون ما هو لفائدتنا و يقلبونه ضدنا، ويجعلوننا نضحك في وقت البكاء ونبكي في وقت الفرح؛ وهم في كل حين يقصدون إخراجنا عن الطريق المستقيم!

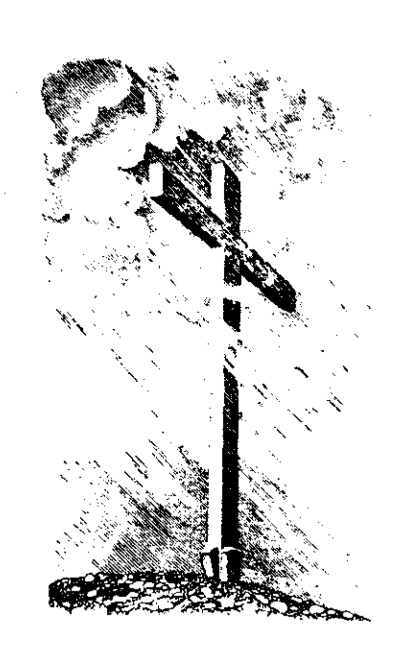
ــ فيجب علينا أن نعرف فخاخ العدو ونحيد عنها، لأن الخطايا والآثام التي يحرضوننا

عليها ليست ظاهرة، **إنما نفسنا تقبل منهم الأفكار المظلمة وبعد ذلك تصير أفكارهم أعمالاً في أجسادنا**] الرسالة السادسة.

+ [الذين دربوا حواسهم وعزائمهم (إرادتهم) بكثرة الفحص، يعطيهم الله هذا النظر والإفراز في سائر أعمالهم، لكي لا تضلهم الشياطين ولا البشر **بحجة الخير.**

ـ النظر الحقيقي الذي هو الإفراز ليس شيء أعظم منه في الإيمان المسيحي... إذا نالوه لا يصير لهم تعب في شيء ولا يجزعون من شيء، وفرح ربنا يعزيهم ليلاً ونهاراً.

ـ لذلك اطلبوا هذا الإفراز بدموع ليلاً ونهاراً لكي يكون لكم خير دائماً من جهة إلهنا و يزداد بهاؤكم في كل شيء. فهذا هو الذي يُبْلِغُكُم إلى الكمال] الرسالة الحادية عشرة.



العنصر النسكي السابع:

ملخص: ضبط الجسد والتحكم في شهواته ضرورة حتمية في جهاد النسك، ولكن إضعاف الجسد له حدود.

□

أقوال القديس:

+ [وبالحقيقة يا أولادي إن كل من يجاهد، عليه أن يتقوى ضد الشهوات الجسدية التي تتولد من كثرة الأكل والشرب، وحينئذ يستطيع أن يشد حقويه بالطهارة، ويطيب قلبه بما قيل في المزمور: «تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار» (مز٤٥: ٣)، وهذا السيف هو قوة كلمة الله التي ينالها الأطهار، وهذا هو السيف القاطع لكل الشهوات الرديئة. وأيضاً يعقوب صارعه الملاك وضربه على عرق فخذه فخُذلت قوته وضعف جسده فسُمِّي إسرائيل أي «ناظر الله».

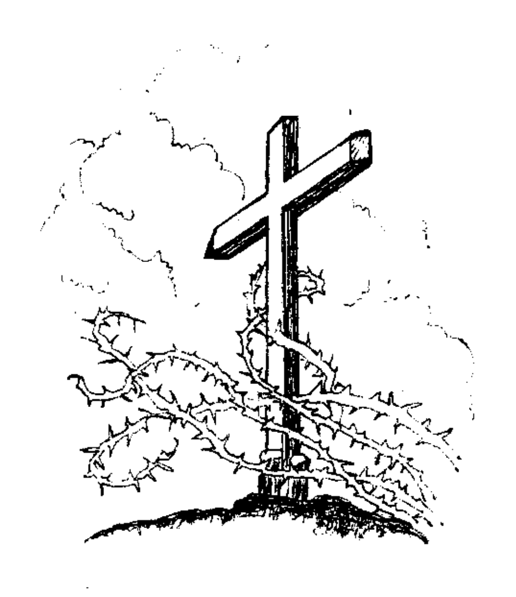
فيجب علينا نحن أن نضعف الجسد **بحكمة وتدبير** حتى تضعف الشهوات وتنطفىء حدتها، لأن هذا الضعف يكمل فينا قوة الطهارة... لأنه إذا ضعف الجسد تقوى النفس، إذن فلنضعف أجسادنا بحكمة لكي نستطيع أن نضبط أنفسنا.

لأننا إذا أقمعنا الجسد واستعبدناه للروح فإن الأفكار الجسدية التي محبتها تسبب عداوة الله تموت وتضعف، وحينئذ تبتدىء النفس تضيء وتصير هيكلاً للروح القدس.

ـــ فالذي يجاهد ليصير طاهراً بجميع أعضائه (عقله وقلبه ونيته وجسده) فهذا هو الناسك الحقيقي] الرسالة السابعة عشرة.

+ [وهكذا ظل أنطونيوس زهاء عشرين عاماً يدرب نفسه في الوحدة لا يخرج

قطعاً ، و يندر أن يراه أحد. ولأول مرة رُئي خارج الحصن ، حدث أن الذين أتوا لرؤيته تعجبوا من منظره عندما رأوه **لأنه كانت له نفس هيئته وجسمه هو كما كان سابقاً ، فلم يكن بديناً بسبب عدم التمرين ولا نحيفاً هزيلاً بسبب الصوم** بل كان كما عهدوه قبل إعتزاله !!] حياة أنطونيوس فصل ١٤ .



العنصر النسكي الثامن:

ملخص: التواضع، والإعتراف بالخطيئة، والبكاء على جهالات الماضي، بتوبة متجددة باستمرار ــ مهما بلغ الإنسان من التقدم ــ ضرورة لحفظ النفس من الإرتداد. وهذه هي إرادة الرب. (٢)

فإن كان للتائب أن يثق في المغفرة المطلقة بدم المسيح، وبأن الله حلّه من خطاياه وتحمّل عنه كل عقوبة الخطية، لكن ليس له أن يغفر لنفسه أو يحلّ ضميره كأنه أصبح بلا خطيئة.

□

أقوال القديس:

+ [**قولوا إننا خطاة وابكوا على أرواحكم لأجل ما صنعتموه بعدم معرفة، وبهذا تكون بالحقيقة إرادة الرب كائنة معكم** وصانعة عملها فيكم، لأن الله صالح يغفر خطايا كل من يرجع إليه من البشر ولا يذكر له خطاياه. فالله يريدنا أن **نذكر نحن خطايانا، لئلا ننساها، فنصبح مطالَبين بما قد غفره لنا.** لأنه هكذا جرى للعبد الذي ترك له سيده ما كان عليه من الوزنات، فلما تجاهل العبد ذلك وتناساه وطالب رفيقه في العبودية بما عليه، عاد السيد وطالبه بما كان قد غفره له.

فعلينا أن لا ننسى خطايانا التي غفرها الله لنا، بل نكون نحن ذاكرين لها كل

---

(٢) توجد نفوس بناؤها النفساني ضعيف ورهيف، حينما تتذكر خطاياها تُصاب بانفعال وألم، وهذا يؤثر تأثيراً سيئاً على بنائها العصبي ويجعلها تقع في حزن مفسد وقلق واضطراب عصبي. هذه النفوس لا يوافقها تذكر الخطايا.

كما توجد نفوس ذات حساسية جنسية مرتبطة ارتباطاً شديداً بالفكر، فأي تذكر للخطايا التي من هذا النوع يجعلها تتحرك بالشهوة في الحال وتثير إحساسها الجنسي، بدون إرادتها، فتتبلبل أفكارها، وقد يسقطها ذلك في الشهوة بالإرغام كفعل منعكس داخلي؛ فمثل هذه النفوس جيد لها أن تتحاشى تذكر الخطايا التي من هذا النوع.

حين لكيما نكون متواضعين أمام الرب كمديونين!

وداود لما حظي بالصفح عن خطيئته لم يَنْسَها ولا ترك ذكراها بل كتبها في المزمور الخمسين، لتصير تذكاراً أبدياً من جيل إلى جيل: «جعلت خطاياي أمامي كل حين.»

ــ يجب على الخاطىء إذا ترك له الله خطاياه، أن لا ينساها بل **يذكرها ليتزكى.**

فهكذا قال الله على فم إرميا النبي: «لأني رحوم يقول الرب ولا أغضب عليكم، لكن **إعرف أنت ظلمك.**»

ــ هكذا نحن، يا أولادي، الواجب علينا إذا ما غفر لنا ربنا خطايانا لا نغفرها نحن لأنفسنا بل **نذكرها دائماً بتجديد التوبة...** فهذه أذكّركم بها يا أحبائي لأني أعرف عظم فضيلتكم، ولكن لئلا تتغافلوا فيختفي نوركم، ولكي تزدادوا أثماراً تليق بإسكيمكم الملائكي] الرسالة السادسة عشرة.

+ [**فكل الذين يريدون الرجوع إلى رتبتهم الأولى لا يمكنهم ذلك إلا بالإتضاع،** لأنه إن لم يكن في الإنسان الإتضاع الكثير بكل القلب و بكل النية و بكل الروح و بكل النفس و بكل الجسد، فلا يرث ملكوت الله...

ــ و بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، أنا أطلب من خالقي الذي بيده روحي **أن ينير أعين قلوبكم لتعلموا خزيكم وتعرفوه، لأن من يعرف خزيه فذلك هو الذي يمكنه أن يطلب المجد المختار الحقيقي،** لأن الذي عرف موته يعرف حينئذ حياته الأبدية] الرسالة السادسة.

+ [**إحذر أن تكون صغير القلب، لأن صغر القلب يجلب الأحزان (المفسدة)**] بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص١٣.

العنصر النسكي التاسع:

ملخص: الفرح الروحي قوة النسك وعلامة صحته، فهوينمي النفس و يرفع العقل و يغذيه، و يشجع على الجهاد و يدحر الشيطان. فالفرح الروحي بالحاضر المبارك والمستقبل السعيد برهان نجاح التوبة وقوتها.

□

أقوال القديس:

+ [وكما أن الأشجار إذا لم تشرب من طبيعة الماء، لا يمكنها أن تنمو، فهكذا **النفس إذا لم تقبل الفرح السمائي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء**، وأما النفوس التي قبلت الفرح السمائي فهي التي تستطيع أن تنمو إلى العلاء] الرسالة الثالثة عشرة.

+ [لأن **فرح الله يربي عقولهم و يغذيها**، لأن **النفس تترقى دائماً بهذا الفرح وتغتذي به، وبه تصعد إلى السماء**، وكما أن الجسد قوامه وثباته بالخبز والماء، فإن لحقه مرض يمنعه عن الغذاء فإنه يضعف و يقوى عليه أعداؤه ولا يمكنه أن ينال الصحة إلا بملازمة الطبيب، هكذا **نفس الإنسان إذا لم يكن فرح الله فيها، فإنها توجد مريضة ومطروحة بجراحات خبيثة (الحزن المفسد)**. فإذا هي اجتهدت في طلب إنسان خادم لله عارف بالطب الروحاني وتمسكت به، فإنه يشفيها من أوجاعها وتقوم دفعة أخرى، و يعلمها ما يخص الله فيحصل لها ذلك **الفرح الذي هو طعامها**، وعند ذلك تقدر أن تقاوم أعداءها وتغلبهم وتدوس مشوراتهم **وتتكمل بالفرح**.

ــ فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم فما تسقطون، وأنا أعلّمكم عملاً آخر يثبّت **الإنسان من بدايته إلى نهايته، وهو أن يحب الله** من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيته و يتعبد له، وعند ذلك يعطيه الله **قوة عظيمة وفرحاً فتحلو له جميع أعمال الله**

وكل أتعاب الجسد أيضاً] الرسالة الثامنة عشرة.

+ [إذن، واجب علينا أن لا تخور عزائمنا أو يتسرب الجبن إلى قلوبنا أو نصوِّر المخاوف لأنفسنا قائلين مثلاً: أنا خائف لئلا يأتي شيطان ويحطمني، أو لئلا يرفعني إلى أعلى ثم يطرحني، أو لئلا يثور عليَّ بغتة و يزعجني. مثل هذه الأفكار يجب أن لا تخطر ببالنا قطعياً.

ــ كما يجب أن **لا نحزن كأننا قد هلكنا**، بل بالحري **نتشجع ونفرح دواماً**، واثقين أننا آمنون لأن الرب معنا.

ــ فالشياطين إذا وجدتنا في حالة جبن أو اضطراب اقتحمت المكان في الحال، إذ تجده بغير حراسة، وتفعل فينا ما تجدنا مفكرين فيه بل وأكثر أيضاً. فإذا وجدتنا خائري القلوب وجبناء ازدادت في إرهابنا، بعنف، بتضليلاتها وتهديداتها، وبهذا تتعذب النفس التعسة من ذلك الحين.

أما إذا وجدتنا **فرحين في الرب متأملين في سعادة المستقبل**، فإنها تندحر وترجع إلى الوراء.

ــ وهكذا إذا أردنا احتقار العدو، فلنتأمل دواماً في الإلهيات، **ولتفرح النفس بالرجاء**] حياة أنطونيوس، فصل ٤١.

+ [وكانت نفس أنطونيوس بلا لوم، فلم تكن منقبضة من أي حزن، ولم يستولِ عليها لا الضحك ولا البكاء] حياة أنطونيوس، فصل ١٤.



العنصر النسكي العاشر:

ملخص: الأعمال الإجتهادية التي نمارسها هي فرض نسكي إنجيلي، فهي كلها وصايا الرب.

وبالرغم من أنها تكون من صميم إرادتنا بل ومن صميم جوهرنا الطبيعي الأصلي غير الفاسد: «يا الله العظيم الأبدي الذي **خلق الإنسان على غير فساد**» (القداس الباسيلي ــ صلاة الصلح)، إلا أنها بعد أن نلنا المعمودية صارت هذه الأعمال متحدة بقوة ونار الروح القدس، فأصبحت قادرة بطبيعتها الجديدة أن تحرق الخطايا! فنحن ملتزمون بها في حياتنا المسيحية الجديدة، ولكن في نفس الوقت نعتبر ثمارها ونتائجها من عمل الروح القدس!!

فنحن نُدان لو لم نعمل الأعمال الصالحة، لأنها هي التي ترفعنا إلى الله بحرارتها، ولكن إذا ارتفعنا إلى الله وتقدسنا يكون ذلك ليس بسبب أعمالنا، وإنما بسبب الروح القدس والنار التي اتحدت بأعمالنا!!

□

أقوال القديس:

+ [فأطلب إليكم أيها الإخوة بإسم ربنا يسوع المسيح أن لا تتوانوا عن خلاصكم، بل فلْيَشُق كل واحد منكم قلبه لا ثوبه (علامة التوبة قديماً)، لئلا نكون قد توشحنا بالإسكيم ونحن نعدُّ لأنفسنا دينونة، لأن **كل واحد سيُدان كنحو عمله**] الرسالة الأولى.

+ [**إذا تكاسلتم عن العمل قبل أن تتحكموا بالفضائل فإنكم تسقطون** في مرض شيطاني وهو عدم الإفراز، فتظنون أنكم قريبون من الله وحاصلون على النور مع

أنكم في الظلمة كائنون!!] الرسالة السادسة.

+ [أطلب إليكم أن تعلموا أن **كل أعمالنا التي نقدمها للرب بالنعمة** التي أعطاها لنا لا تقوم مقابل تواضعه هوعنا (ومن أجلنا).

ـ واعلموا يا أحبائي أننا **إذا أكملنا أعمالنا بكل قوتنا كإرادته فهذا هو الواجب علينا**، لأنه طبيعي في جوهرنا (الأصلي) وليس لنا فيه فضل (لأنه من الله). أما إذا أتت منا خطيئة، فنحن نُلام عليها، لأن الخطيئة غريبة عن جوهرنا الطبيعي (الأصلي).

أطلب إليكم أن توقظوا قلوبكم بخوف الرب وتعلموا أن يوحنا عمَّد بالماء للتوبة ليجتذبنا إلى معمودية ربنا يسوع الذي عمد بالروح القدس والنار، **أما النار فهي نار الأعمال الصالحة**، فلنستعد إذن الآن أن ننقي ذواتنا جسداً وروحاً لنقبل (قوة) معمودية ربنا يسوع المسيح **ونعمل**، لأن الروح المعزي المأخوذ في المعمودية يعطينا **العمل بالتوبة** لنرث الميراث الذي لا يزول] الرسالة السابعة.

+ [وإذا أردتم أن تقبلوا هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، ليسكن فيكم، فقدِّموا **أولاً أتعاب الجسد** وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء واطلبوه باستقامة قلب، وحينئذ يُعطَى لكم] الرسالة الثامنة.

+ [وكان سبب صعودهم (أي صعود القديسين) إلى السماء **هو النار غير المرئية التي هي حرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت في قلوبهم**.

وماذا تشبه النفس التي تسكنها نار الله؟ تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما و يعلو مرتفعاً إلى السماء، **فأجنحة النفس المتعبدة للرب هي قوة نار الله التي بها تطير إلى العلو.**

ـ فلا تَدَعُوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة يثيرها الشيطان ليخمد هذه النار المعطاة لكم من الرب، لأنه يعلم أن **لا قوة له عليكم طالما كانت هذه النار**

فيكم .

ــ أوجاع كثيرة مختلفة يلقيها الشيطان في النفس ليطفىء تلك **النار التي بها وبواسطتها تقام الفضيلة** ، وأول هذه الأوجاع هو (لذة) راحة الجسد وما يختص به .

ــ أطلب بسببكم من الله ، لكي **النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم لتستطيعوا أن تدربوا عزائمكم وحواسكم**] الرسالة الثالثة .

+ [بالحقيقة يا أولادي إن كل من لا يبغض ما يختص بهذا العالم الأرضي و يبسط عقله نحو السماء لله الآب ، فلا يستطيع أن يخلص . **أما كل من يعمل** هذا ، فإن الله يتراءف على تعبه **وينعم له بالنار غير المرئية** واللامادية فتحرق كل الأوجاع (أمراض الخطية) التي فيه وتطهر عقله منها] الرسالة الخامسة .

+ [وأما أنتم ، يا أولادي المجاهدين ، اجتهدوا ، فتأتي **قوة الله وتعينكم وتثبت عندكم وتعطيكم نشاطاً وحرارة في كل حين** ... وأنا أطلب عنكم أن **تدوم هذه الحرارة فيكم دائماً لأنها نار حقيقية وليس أفضل منها** ، فإن وجد أحدكم أن هذه الحرارة ليست فيه فليطلبها باجتهاد وهي تأتي إليه .

ــ وإذا وجدتم نفوسكم **قد بردت بالغفلة والتواني فاجتهدوا في إقامتها ونوحوا عليها** ، ولا بد أن **تلك الحرارة تأتي وتتحد بنفوسكم وتكسبها طبعها الحار فتتأجج بالأعمال الصالحة**] الرسالة العاشرة .

+ [اجعلوا هذا الجسد مجمرة ترفعون فيها أفكاركم ومشوراتكم أمام الرب وذلك برفع عقولكم إليه وتقديم قلوبكم ، واطلبوا منه أن يوقد فيكم نار محبته لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها . **فإذا نلتم يا أولادي هذه المواهب الفاضلة ، فلا تظنوا أنها من أعمالكم بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم**] الرسالة السادسة .

العنصر النسكي الحادي عشر:

ملخص: النسك هو اتِّباع الوصايا، وكمال النسك هو التحرر من كل الشرور.

ولكن الكمال النسكي غير الكمال المسيحي، فالكمال النسكي ينتهي عند نقاوة القلب، وحينئذ يؤهِّل الإنسان لنظر الله القلبي، الذي هو استعلانه بالإيمان ومعرفته بالحق، وحينئذ يتم الكمال المسيحي الذي هو الإتحاد بالرب.

فالكمال النسكي يؤهِّل للكمال المسيحي، لذلك لا غنى عن الجهاد النسكي.

□

أقوال القديس:

+ [الذي يريد أن يصير **كاملاً بالنسك، فلا يتعبد لشيء من الشر،** لأن الذي يكون مستعبداً لشيء واحد من الشر فإنه بعيد من حد الكمال. **لأن الكمال هو كما قيل: «فإني إذ كنت حراً من الجميع** استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين» (١كو٩: ١٩). وهذا قاله بولس الرسول ــ إذ لم يعد متعبداً للشر ــ وبإنعتاقه من الشر طلب من أجل فائدة الكثيرين الذين ليس لهم استطاعة أن يتخلصوا (يتحرروا) من الخطيئة ومن شرورهم لكونهم فاقدين القوة.

ــ وروح الله لا يسكن (حالة شركة) في نفس أو جسد خاطيء لأنه قدوس و بعيد عن كل شر (غش)] الرسالة الرابعة.

+ [أما بولس الرسول فقد **حصل على الكمال** (المسيحي) **لما ظهر له الرب يسوع،** ومنذ ذلك الحين صار **معاضداً للذين ليس لهم قوة حتى يبلغوا إلى الكمال** ويمضوا إلى

العلا (أي يعضدهم بالتعاليم التي تساعدهم على الجهاد والإيمان حتى يبلغوا الكمال المسيحي).

ـ و بولس الرسول يا أولادي صار كاملاً لأنه:

أولاً: انعتق من الشر، (بالنعمة والجهاد).

ثانياً: لم يتعبد بعد ذلك لشيء من الشهوات، لكونه صار ناسكاً.

ثالثاً: لأنه تحرر بنظره للرب يسوع. وعندما نظره تبع أقواله للوقت وصار في غاية الكمال والإتضاع.

وهكذا كل الذين يتمسكون بأقوال الرب، **فإنهم يعرفون الحق، والحق يُصيِّرهم أحراراً و يعتق نفوسهم من كل شر كما صار بولس الرسول** (هنا يوضح القديس أنطونيوس أن معرفة الحق بعد تكميل الوصية تعادل رؤية المسيح)، ولأجل ذلك قال هو عن ذاته: «أفلست أنا حراً، ألم أنظر الرب؟» (١ كو٩: ١)

ـ ثم إن كثيرين يقولون، بجهالتهم، إننا رأينا الرب يسوع مثل الرسل، هؤلاء مخدوعون وضالون لأن ليس لهم (قوة) العيون التي ينظرون بها الرب كما نظره الرسول (بولس)، لأن الرسول نظر الرب كما رآه الرسل (في التجلي). **فالرسول نظره بعين قلبه وأمانته القوية كمثل ما نظرته نازفة الدم التي لمسته بإيمان فشُفِيَتْ.**

ـ فكما ظهر ربنا يسوع المسيح لرسوله بولس بعد غَلَبته الأوجاع وصيَّره حراً، **هكذا كل من انعتق من الأوجاع فإنه (يؤهَّل) لنظر الرب بعيني قلبه فيتحرر،** ولكن لا يستطيع أن ينظر بعيني جسده ذلك النور البهي جداً الذي نظره بولس الرسول.

ـ فاعلموا هذا، أن الإنسان إذا مات منه ملاك الخطيئة (أي توقفت عنه شهوة الشر) فإن الله يظهر للنفس و يطهرها مع الجسد. أما إذا بقي ملاك الخطيئة حياً في الجسد (أي لا يزال الإنسان محباً ومنعطفاً للشر والخطيئة) فلا يمكن للإنسان أن يشاهد الله لأن

النفس تكون كائنة في الظلمة[٣]. ولا يظهر فيها النور الذي به ينظر الله: «بنورك يا رب نعاين النور» (مز٣٦: ٩). **وما هو هذا النور الذي نعاين به الله؟ هو النور (العين الطاهرة) الذي ذكره ربنا يسوع المسيح في الإنجيل أن يكون جسدك كله نيراً وليس فيه جزء مظلم (بالخطيئة)!**

ـ الإبن، يا أولادي، **لا يُظهر أباه لبني الظلمة بل للثابتين في النور، الذين هم أبناء النور الذين أضاءت عيون قلوبهم بمعرفة الوصايا!**
لأن عين الكاملين لا يبق فيها شيء من تبكيت الخطيئة ولا أثر للظلمة.

فالخطيئة والظلمة (شهوة الخطيئة) إذا كانتا موجودتين، فإنهما لا تدعان النفس تنظر نظرة الكمال التي للكاملين التي يقول عنها بولس الرسول: «**ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بلا خطيئة أو ظلمة)** نتغير من مجد إلى مجد» (٢ كو٣: ١٨)... ومن إيمان لإيمان ... ومن فضيلة ناقصة إلى فضيلة كاملة. هذا الإنتقال والتقدم هو الذي يقربنا إلى الله لنأخذ قوة نظره ومعرفته. كما يقول الله: «في القريبين مني أتقدس» (لا ١٠: ٣). **فإذا اقترب العقل من الله (تَقَدَّس) واتحد به وصار معه واحداً، فإن العدو لا يعود يظهر فيه!**

ـ ومعلم المسكونة بولس يشير علينا أن نركض لندرك الكمال (الغاية أو الغرض الأخير) قائلاً: «أقمع جسدي وأستعبده» (١ كو٩: ٢٧)، إذن فلْنَجْرِ يا أولادي ما دام لنا وقت في هذا الجسد لكي ندرك الكمال كما أدركه هذا القديس الذي قال: «جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً وُضع لي إكليل البر» (٢ تى ٤: ٧و٨)!! فاصنعوا أنتم أيضاً هكذا، لأن كل من يسعى بالتواني والكسل فإن آخرته تدركه قبل **كماله بالمسيح.**

---

(٣) هذا الكلام يحققه القول القائل في الأمثال: «نفس الإنسان سراج الله» (أم٢٠: ٢٧). ولعل هذه الآية هي التي بنى عليها المسيح قوله: «إن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون.» (مت٢٦: ٢٣)

ــ وأيـام الـنـفـس كأيام الجسد فيها طفولة ورجولة وشيخوخة، **وهي بداية الإيمان، والعمل، والكمال.**

فـإذا ابـتـدأت الـنـفـس أن تـؤمـن بـالمسيح فإنها تولد، كما قيل في الإنجيل. و يوحنا الرسول كتب عن هذا الميلاد مبيناً **ابتداءه، وانتصافه، وكماله** بقوله: «أكتب إليكم أيها **الأولاد** لأنه قد **غُفرت** لكم الخطايا... أكتب إليكم أيها **الشباب** لأنكم **غلبتم** الـشـريـر، أكـتـب إلـيـكـم أيهـا **الآبـاء** لأنـكـم **قـد عـرفتم** الـذي مـنـذ الـبـدء!!» (١يـو٢: ١٢ــ١٣) هـذه الكتابة للمؤمنين بمقاديرهم الثلاثة الذين يشتهون اللبن الناطق و يتقدمون للكمال و يستحقون النعمة الحقيقية.

لهـذا نجد داود النبي، إذ كان يعلم ما هو كمال أيام النفس، ووجد أنه طعن في أيام الجسد واقترب أن ينحل منه ولم يكمل بعد في الأيام النفسانية، طلب من الله قائلاً: «لا تـأخذني في منتصف أيامي» (مز١٠٢: ٢٤)، وكان هذا اهتماماً منه **بالأيام الروحانية** بسبب فزعه أن تؤخذ نفسه قبل كمال أيامها (برّها) فيكون غريباً عن الكمال] الرسالة السابعة عشرة.

+ [واعـلـمـوا أنه بغير **طهارة القلب والجسد** لا يستطيع أحد أن يكون **كاملاً أمام الله**، كـالمكـتـوب في الإنجـيـل المـقـدس: «طـوبى لأنـقـيـاء القلب فإنهم **يعاينون الله**» (مـت٥: ٨). **فـالكمال يتولد من طهارة القلب** (لأن بطهارة القلب يُستعلن الله)!] الرسالة العشرون.

+ [ومـذكـور عـن الآبـاء الأطـهـار القديسين أنهم إذ جاهدوا ونظروا الرب صار لهم اتـضاع بالأكثر. فنحن سمعنا عن أيوب البار أنه أخيراً لما انفتحت عينا قلبه ونظر الرب، عـدَّ نـفسه تراباً ورماداً... وكذلك إشعياء النبي بعد أن بكّت الشعب على خطاياهم، رأى الـرب وفي الحـال اتـضـع وقـال: «و يـل لي إني هـلـكـت لأني إنسان نجس الشفتين.» (إش٦: ٥)

فـكـثـرة تـواضع القديسين إنما بسبب ما نظروه من مجد الله، والإتضاع الحقيقي

يكون للنفس في هذا العالم بنظرها ــ من البعد ــ المجد المزمع أن تناله (عن غير استحقاق)] الرسالة السادسة عشرة.

+ [كثيرون أقاموا كل زمانهم في الرهبنة والبتولية ولم يتعلموا التعليم الطاهر لأنهم تركوا تعليم آبائهم وتمسكوا بشهوات قلوبهم... هؤلاء معدودون مع العذارى الخمس الجاهلات لأنهم جازوا زمانهم بالجهل ولم يلجموا لسانهم ولم يطهروا عيونهم وأجسادهم من الشهوة ولا قلوبهم من النجاسة، الأمور التي تستحق أن نبكي عليها... لأنه أصبح ليس لهم لذة سمائية، ولا اهتموا لكي يبكوا على أنفسهم حتى **توقد مصابيحهم** (تستضيء نفوسهم)!!

وأنا لم أكتب لكم هذه الرسالة إلا لطلبي خلاص نفوسكم، لكي تصيروا أحراراً وأمناء وعروساً طاهرة للمسيح عريس كل النفوس الطاهرة، كما يقول بولس الرسول: «إني خطبتكم عذراء عفيفة لرجل واحد» (٢كو١١: ٢)!!] الرسالة العشرون.



العنصر النسكي الثاني عشر:

ملخص: حِفْظُ التقليد النسكي الذي سار عليه الآباء بكل تعاليمهم هو النور الذي يلهم الإنسان التميز، والتقدم، والنمو، ومعرفة إرادة الرب، وأخذ معونة الملائكة، وقبول بركة الآباء، **وشركة ميراثهم في النور الحقيقي** كقول الإنجيل.

□

أقوال القديس:

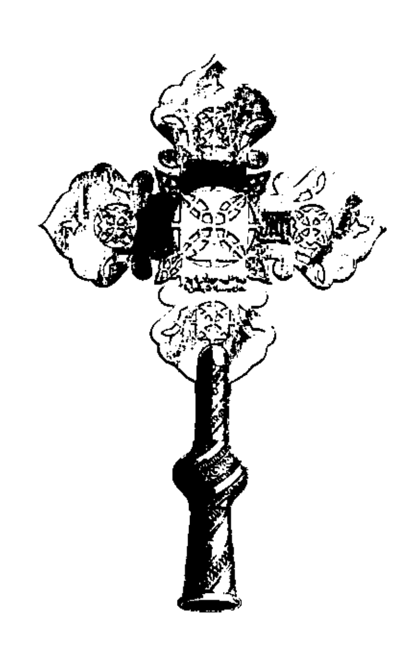
+ [بالحقيقة يا أولادي إن نفسي مبهوتة وروحي ساهية فيَّ، **لأننا جميعاً أعطينا حرية الإختيار لنعمل أعمال القديسين**، أما نحن فسكرنا بأوجاع الخطيئة كما من خمر ولا نريد أن نرفع عقولنا لطلب المجد السمائي. ولا نريد أن **نماثل أعمال القديسين أو نتبع آثارهم لنرث معهم الميراث الأبدي**] الرسالة الخامسة.

+ [إن الأولاد الطائعين هم الذين **يرثون غنى آبائهم وبرَّهم وبركتهم حينما تكون الطلبات التي يصنعونها أمام الله تشبه طلبات آبائهم، فيرثون فضائلهم وبرَّهم وبركاتهم.** فهكذا كانت حياة يعقوب، لأنه قبل أن ينال بركة آبائه لم ينظر ملائكة، فلما نال بركة آبائه رأى الملائكة وبورك منهم بزيادة] الرسالة الرابعة عشرة.

+ [وأعرِّفكم يا أحبائي أنني قد تعبت في الجبال والبراري وطلبت في الليل والنهار **أن يكشف لي الرب إرادته، فلم يُظهر لي شيئاً، حتى سمعت لآبائي في كل شيء وقبلت معرفة إرادة الرب منهم.** لأن كل من يسمع لآبائه فللرب يسمع، فيا أحبائي **اسمعوا لأبيكم فيما كتبته إليكم لتحل بركته عليكم وتجدوا راحة ونعمة وقوة ويسهل الرب جميع طرقكم**] الرسالة العشرون.

+ [فيا أولادي المباركين افهموا ما قد قلته لكم، فإنكم لا تقدرون أن تتقدموا وتنموا أو تكملوا وتعرفوا أن تميزوا بين الخير والشر إذا لم تسمعوا لتعاليم آبائكم الذين كملوا، لأن آباءنا هكذا صنعوا، إذ بسماعهم لآبائهم وتعاليمهم تقدموا ونموا وصاروا معلمين] الرسالة الثامنة عشرة.

+ [إن مرات كثيرة أراد سيدي أن يريحني من أتعاب هذا الجسد و يأخذ نفسي إليه، ولكنه قد ترك روحي المسكينة في جسدها لتربيتكم قائلاً لها: إنكِ والدةٌ حسنة ومربية صالحة وقد تركتكِ لتربي أولادكِ حسناً. والآن يا أولادي المباركين اقبلوا بركتي الأخيرة وها هو كتاب أبيكم وبركته فاحفظوه لأنه الوراثة الحقيقية] الرسالة التاسعة عشرة.



نياحة القديس أنطونيوس
وانتقال رفاته الطاهرة إلى أوروبا

□□□

إستكمالاً لما رواه القديس أثناسيوس عن نياحة القديس أنطونيوس، بخصوص التلميذين اللذين رافقاه في أواخر أيامه مدة خمسة عشر عاماً، نذكر أننا عثرنا على اسميهما في كتاب پالليديوس حيث يذكرهما عَرَضاً في قصة «أولوجيوس والمقعد»، وهما القديس «أماثاس» والقديس «مكاريوس» اللذان قاما بدفن الجسد الطاهر[1] حسب وصية القديس، وكان ذلك في ٣٠ يناير عام ٣٥٦م (١٧ يناير عند الغرب بعد التعديل الغريغوري).

أما بخصوص رفاته الطاهرة[2] فيخبرنا عنها القديس «إسيذور دى سافيل» (أشبيلية) المؤرخ والعالم ورئيس الأساقفة المشهور (٥٦٠—٦٣٦م)، وموطنه الأصلي قرطاجنة بشمال أفريقيا التي بعد أن دمرها الغوطيون هاجرت عائلته إلى أسبانيا واستوطنتها. وقد قام بجمع أكبر «إنسيكلوپيديا» تحوي كافة التواريخ الكنسية، و يذكر ضمنها أن رفات القديس أنطونيوس ظلت مخفية حتى عام ٥٦١م حين اكتشفت لأول مرة

(١) يقول المؤرخ پالليديوس (في ترجمة واليس بدج) إنهما التلميذان اللذان قبَّلهما أنطونيوس قبل وفاته مباشرة قائلاً لهما: «أنا ذاهب حيث تقودني النعمة الإلهية» — جزء ١ ص ١١٤.

(٢) يحقق الإخوة Bollandists وكذلك الراهب العالم Butler خبر نقل رفات القديس كما يقصها إسيذور دى سافيل بكل تدقيق، و بغاية من الإهتمام والإعجاب، و يقصُّون خبر معجزة شفاء و باء الجمرة الخبيثة التي انتشرت في فرنسا بصورة مزعجة وانتهت بواسطة الإلتجاء إلى رفات القديس.

أي بعد ما يقرب من مائتي عام من نياحته. وحُملت رفاته الطاهرة بإكرام شديد في محاولة لتهريبها إلى الخارج، ووصلت مدينة كابون (ولعله يقصد كانوب أي أبو قير الآن) بالقرب من الإسكندرية ووضع التابوت الطاهر داخل الكنيسة.

و يقول إسيذور هذا أن القديس أنطونيوس كان منذ بداية القرن الخامس قد صار شفيعاً تلتجىء إليه كل أفريقيا وآسيا، ولما غزا العرب مصر واستولوا عليها عام ٦٣٥م نُقل جسد القديس إلى القسطنطينية، وقد بقي التابوت الطاهر في القسطنطينية حتى أوائل القرن الحادي عشر، حيث نُقل بعد ذلك إلى مدينة ڤيينا (٣) بمسعى أحد الأمراء، واستُودع هناك في كنيسة القديس ديدير Didier التي تحولت بعد ذلك إلى دير كبير ومزار عالمي، وتسمَّت الرهبنة هناك بإسم رهبنة القديس «أنطونيوس»، وظلت هذه الرهبنة مزدهرة حتى سنة ١٧٧٦م حيث انتشرت في كل فرنسا أيضاً، وتسمت الأديرة هناك بإسم «أديرة القديس أنطونيوس»، وقد نالت شهرة القديس أنطونيوس في أوروبا أثناء العصور الوسطى قوة عظيمة بسبب المعجزات التي كانت تظهر من التابوت الذي كان يحوي رفاته الطاهرة.

وقد نُقلت رفاته بعد ذلك إلى دير Mont Major بالقرب من آرل Arles مدينة المجامع المشهورة التي عقد فيها ما يقرب من ١٥ مجمعاً. ثم استقرت نهائياً في كنيسة «القديس يولياني» بمدينة آرل (٤) نفسها حيث شُيد للتابوت مقصورة فاخرة. و يروي المؤرخون الكنسيون (٥) على التتابع حوادث مدهشة عن المعجزات الجماعية التي كانت تتم في هذه الكنائس.

(٣) Vienne ڤيينا مدينة بفرنسا كانت شمال مرسيليا على الرون، مكانها الآن ليون، وهي ليست ڤيينا عاصمة النمسا. وقد تسمت بعد ذلك بإسم القديس أنطونيوس: Saint Antoine De-Viennois

(٤) مدينة آرل على مصب الرون غرب مرسيليا مباشرة.

(٥) Tiellemont and Hélyot.

وهكذا وإن سكت لسان القديسين عن الشهادة، فتراب عظامهم يظل ينطق بمجد الله (٦) !

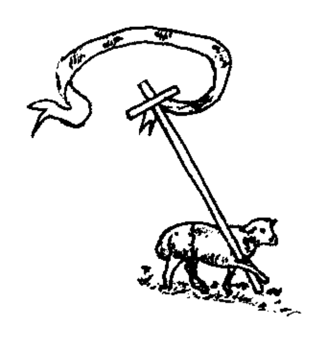
ختام:

قول مأثور لمؤرخ عالمي بروتستانتي ألماني المولد أمريكي الموطن:

«لقد كان أنطونيوس يخفي تحت جلد الغنم الذي يرتديه نفس طفل وديع (لعله يريد أن يقول حمل) في بساطة ولطف، مع طاقة نادرة من الإرادة!!، ومحبة متأججة لله ظلت حافظة لكيانها تسعين سنة، في غيبة كاملة عن كل وسائل الراحة ومسرات الحياة الطبيعية!! في نصرة كاملة على كل تجارب الجسد! وبالتقوى فقط دون مساعدة العلم أو التلقين، صار أنطونيوس واحداً من أعظم الرجال شهرة وتأثيراً في تاريخ الكنيسة القديم.»

«فيليب شاف» Hist. of Christ. Church III, p. 188.

«انتهى الكتاب»



(٦) لقد سرت أخبار حياة القديس أنطونيوس في مصر كتيار جارف، فقبل أن يتنيح القديس أنطونيوس بلغ عدد الرهبان الذين كان يدبرهم مائة ألف راهب، ولم ينقضِ خمسون سنة بعد ذلك حتى كان عدد الرهبان في براري مصر مساوياً لعدد سكان البلاد. (أنظر روفينوس، ومونتا لمبرت، وأوغسطينوس، وشاف).